جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة كربلاء – كلية العلوم الإسلامية
قسم لغة القرآن وآدابها

الحِجَاج في القرآن الكريم
السور القصار مثالًا

رسالة قدَّمتها الطالبة
مروة خضير عبّاس الغزالي

إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية جامعة كربلاء
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير
في لغة القرآن وآدابها

بإشراف
الأستاذ المساعد الدكتور
مسلم مالك بعير الأسدي

١٤٤١ هـ ٢٠١٩م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ
إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ
وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ
فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾

[البقرة:٢٥٨]

ترشيح رسالة للطبع

نظرا لانجاز مباحث وفصول (الرسالة) الموسومة (**الحجاج في القرآن الكريم السور القصار مثالا**)
لطالبة الماجستير (**مروة خضير عباس**) فاني أرشحها للطبع .

التوقيع:

المشرف: ا.م.د. سلم هاللو الاسدي

مكان العمل : جامعة كربلاء / العلوم الإسلامية

التأريخ: ١٥ / ٣ / ٢٠١٩ م

إقرار المشرف

أشهد أن الرسالة الموسومة بـ (الحجاج في القرآن الكريم السور القصار مثالا) التي قدمها الطالب (**مروة خضير عباس حسن**) قد تم إعدادها تحت إشرافي في جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية وهي من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية / لغة القرآن وآدابها.

المشرف

التوقيع:

المرتبة العلمية : ا.م.د .

الاسم : سلم مالك الاسدي

مكان العمل : جامعة كربلاء - العلوم الإسلامية

التأريخ: ١٧/٢/٢٠١٩

بناء على توصية المشرفين والمقوم العلمي أرشح هذه الرسالة:

رئيس القسم :

التوقيع:

الاسم : ا.م.د.سلم مالك الاسدي

التأريخ: ١٦/٢/٢٠١٩

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس وأعضاء لجنة المناقشة بأننا اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ(الحِجَاج في القرآن الكريم السور القصار مثالًا) وناقشنا الطالبة (مروة خضير عباس الغزالي) في محتواها وفيما له علاقة بها ونعتقد أنها جديرة بالقبول بتقدير(جيد جدًا عالٍ) لنيل شهادة الماجستير في لغة القرآن وآدابها.

التوقيع:

الاسم:ا.م.د. رياض رحيم ثعبان

المنصب في اللجنة: عضوًا

التاريخ: ٦/١٠/٢٠١٩

التوقيع:

الاسم: ا.م.د. نورس إبراهيم عبد الهادي

المنصب في اللجنة: عضوًا

التاريخ: ٦/١٠/٢٠١٩

التوقيع:

الاسم: ا.م.د. مسلم مالك الأسدي

المنصب في اللجنة: عضوًا ومشرفًا

التاريخ: ٦/١٠/٢٠١٩

التوقيع:

الاسم: ا.د. عباس علي حسين

المنصب في اللجنة: رئيسًا

التاريخ: ٩/١٠/٢٠١٩

صُدقت في عمادة كلية العلوم الإسلامية التوقيع:

أ.م.د جاسم عبد الواحد راهي الحميد

عميد كلية العلوم الإسلامية/ جامعة كربلاء

التاريخ: ١٥/١٠/2019

الإهداء

- إلى من يستحقون الذكر والثناء ، وبشجاعتهم ودفاعهم عن العرض والدين ما زلنا نمارس طقوس الحياة شهداء العراق لأرواحكم السلام. . .
- إلى مَنْ غمراني بالحب والعطف . . . إلى سندي في الحياة أبي وأمي أطال الله في عمرهما . . .
- إلى من قيل عنهم : قِفْ للمعلمِ وفِّهِ التبجيلا كادَ المعلمُ أنْ يكونَ رسولاً

  مشايخي المكرمين عسى الله أن ينفعني بعلومهم.
- إلى رفقاء الدرب ، وبلسم القلب . . .
- إلى كل من رفدني بالمساعدة والدعاء. . .

أهدي بحثـــي هذا . . .

شكر وتقدير

يطيب لي بعد أنْ انتهى هذا البحث أنْ أشكر الله تعالى وأحمده أولًا وأخرًا؛ لأنّه أعانني في إعداده، وأتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى عمادة كلية العلوم الإسلامية المتمثلة بعميدها الموقر ومعاونيه الأفاضل.

وأقدم شكري وامتناني لرئاسة قسم اللغة العربية المتمثلة برئيس القسم المفضال وأساتذتي الكرام الذين لم يبخلوا في توجيهي وإمدادي بما احتجت إليه وإسنادهم لي طوال مدة بحثي كما لا أنسى فضل الدكتور رافد ناجي الذي نورني ببعض المعلومات وتابعني أثناء إنجاز هذا البحث والدكتورة نابلس صلال لما كان لنصائحها وتوجيهاتها أثر بليغ في دراستي والشكر موصول لمن أسهم في إتمام هذا العمل علميًا وإداريًا عسى الله أنْ يوفقهم جميعًا وإلى كل من ساعدني وتوجه إلى الله تعالى بالدعاء لي بالتوفيق والسداد ولمن أوصاني ربي بهما خيرًا والدتي ووالدي أمد الله في عمرهما.

كما أتوجَهُ بالشكرِ والتقدير للأساتذة الأجلاء أعضاء لجنة المناقشة؛ لتفضلهم عليّ بقبول مناقشة هذا البحث، وتكبد عناء السفر؛ لتصحيح الخطأ، وسد الخلل، ومساعدتي على إكماله بما يرضي اللهَ وأهلَ بيته.

وأرجو من الله أنْ ينال الرضا والقبول، ومعذرة إنْ كنت قد أخطأت أو قصرت فإنَّني لا أدعي الكمال في عملي.

الخلاصة

تحاول هذه الدراسة تتبع مفهوم الحجاج وآلياته النصية في السور القرآنية القصار بسبب ماتحتويه هذه السور من قيم صوتية ودلالية ولغوية كبيرة ، فهي كانت في خضم الدعوة الإسلامية وكانت سبب رئيس في اعتناق الكثير من أهل مكة الإسلام بسبب قوتها ورنينها الصوتي وما احتوته من مشاهد فياضه تكلمت في الغيبيات والحضوريات . وحاولت الباحثة أن تسبر أغوار كل ذلك بوساطة الحجاج الذي يعتمد الحجة والجدل والحوار للوصول إلى الحقيقة . وتبعاً لمقتضيات الموضوع فقد ضم البحث تمهيداً وثلاثة فصول ، اهتم التمهيد بدراسة الحجاج لغة واصطلاحاً مع بيان خصائص الحجاج القراني ثم جاء الفصل الأول بدراسة الحجاج الإيقاعي في السور القصار في حين تناول الفصل الثاني الحجاج اللغوي في السور القصار من عوامل وروابط وسلالم حجاجية ، أما الفصل الثالث فاهتم بدراسة الحجاج البياني من استعارة وتشبيه وكناية ثم خاتمة بينا فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
المحتويات.....	أ
المقدمة	١ – ٥
التمهيد	٦-١٢
المطلب الأول: مفهوم الحجاج لغة واصطلاحًا.....	٧-١٠
المطلب الثاني: السور القصار (المصطلح والعدد).....	١١-١٢
الفصل الأول : الحجاج الإيقاعي في السور القصار	١٣-٣٩
* توطئة	١٤-١٥
* المبحث الأول: الفاصلة القرآنية.....	١٦-٢٣
*المبحث الثاني: التكرار القرآني	٢٤-٢٧
* المبحث الثالث : الجناس القرآني.....	٢٨-٣٤
* المبحث الرابع : المقابلة القرآنية	٣٥-٣٩
الفصل الثاني : الحجاج اللغوي في السور القصار	٤٠-٨٤
* توطئة	٤١-٤٢
* المبحث الأول : العوامل الحجاجية.....	٤٣-٥٩
* المبحث الثاني : الروابط الحجاجية	٦٠-٧٤
* المبحث الثالث : السلالم الحجاجية.....	٧٥-٨٤
الفصل الثالث :الحجاج البياني في السور القصار	٨٥-١٣٥
* توطئة	٨٦-٨٨
* المبحث الأول : التشبيه الحجاجي	٨٩-٩٧
* المبحث الثاني : الاستعارة الحجاجية	٩٨-١١٨
* المبحث الثالث : الكناية الحجاجية	١١٩-١٣٤
النتائج	١٣٥-١٤٠
المصادر والمراجع.....	١٤١ – ١٥٤
الخلاصة باللغة الإنجليزية.....	A – B

الـمقدِّمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وأكرم الأصفياء والمرسلين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

أما بعد :

فإن الحجاج من المفاهيم القديمة التي برزت في بواكير ظهور المعرفة، فكانت بدايته مع ظهور السفسطائيين الذين عملوا على استعماله في مناظراتهم المعرفية مع سقراط وأمثاله من الفلاسفة، وفي تدريس العامة للحصول على حقوقهم أثناء المحاكمات المعقودة للفصل في المشكلات الحياتية اليومية.

وقد تطور هذا المفهوم كثيرًا مع بداية الثورة اللسانية اللغوية، وحظي باهتمام اللغويين والبلاغيين والمناطقة والفلاسفة والأدباء وغيرهم، كل نظر إليه من منظوره الخاص الذي يعتمده في مجال عمله، لذلك ظهر لدينا الحجاج اللغوي، والحجاج البلاغي، والحجاج المنطقي، والحجاج الفلسفي وغيره ، فالمرسل للنص يهدف من رسالته إقناع المتلقي أو تفسير معتقده في قضية ما أو سلوك اتجاه أمر معين، وبهذا يمكننا إن نعتبر الخطاب القرآني خطابًا حجاجيًا؛ لما يمتلكه القرآن الكريم من أثر إقناعي ولاسيما أنّه كتاب الله المنّزل كتاب الهداية، وكان هدفه الأسمى إقناع من تشرب في قلوبهم الكفر وهدايتهم إلى الدين الحنيف عن طريق النص وما يحتويه من أساليب إقناعية حجاجية تحقق المراد منه، فهو يحمل في طياته معاني عديدة في سياق كل نص، فضلًا عن الأبعاد الجمالية والإقناعية التي يوحي بها النص القرآني لقارئه وسامعه ، فهو معين لا ينضب من الأساليب ، والأفكار، والإيحاءات المتجددة، ومن أهم الأسباب التي دفعتنا لدراسة مفهوم الحجاج في القرآن الكريم؛ لأن غاية الحجاج تتمثل بجعل العقول تذعن لما يُطرح عليها من آراء ، مع زيادة درجة الإذعان؛ لجعل المتلقي قادرًا على القيام بما يُطلب منه في اللحظة المناسبة وبقناعة تامة، فضلًا عن كون الحجاج يمثل تيارًا حديثًا في الدراسات اللسانية فهو لا يعتمد على الوظيفة التواصلية الإخبارية كوظيفة أساسية للغة فقط ، بل يصرح بوظيفة ثانوية لها وهي الوظيفة الحجاجية، و نتيجة لتعدد مجالات الحجاج فهو قادر على مناقشة العديد من الظواهر اللغوية والبلاغية والايقاعية

والفلسفية وغيرها ، وتقديم المعطيات والنتائج اللازمة في دراستها، فكان (الحجاج في القرآن الكريم السور القصار مثالًا) هو مدار الدرس، ولاسيما مع وجود فكرة مسبقة ومتبلورة قبل دراسة الماجستير تتعلق بدراسة نظرية الحجاج قبل تحديده في النص القرآني مع تردد الباحثين في الاحتكاك بالقرآن الكريم خوفًا من تفسيره على وفق الأهواء، لكني اعتمدت على ما قدمه المفسرون من آراء وأحكام وقمت باعتمادها لإظهار الجوانب الحجاجية في السور القرآنية القصار على وجه الخصوص؛ ومن أهم الأسباب التي دعت الباحثة إلى اختيارها _السور القصار_ موضع الدرس ما يلي:

- تميزها بقصر الألفاظ وقوتها.
- الإيجاز في عباراتها، والابتعاد عن الإطناب في موضوعاتها.
- وحدة الموضوع ، كما في سورة (الكوثر، الفيل، الإخلاص...).
- سريعة الحفظ والفهم مما يؤدي إلى ترسيخ ما جاء بها من معانٍ وأفكار أراد الله بها للإنسان طريق الهداية والصلاح.
- تدور موضوعاتها حول الدعوة إلى التوحيد، وعبادة الله (عزّ وجلّ) وعدم الشرك به، والتذكير بالجنة والنار عن طريق المشاهد التي تعرضها، وضرورة الالتزام بأوامر الباري واجتناب نواهيه، فضلًا عن معاندة قريش للنبي محمد (صلى الله عليه وآله) آنذاك، واعتراضهم على الدعوة الإسلامية.
- تميزها بالخصائص الحجاجية المتنوعة لتحقيق غاية المتكلم.
- عدم توفر دراسة حجاجية خاصة بها عسى أن يكون لي السبق في ذلك.

وتوفِّر هذه الدراسة عرضًا لأهم آليات نظرية الحجاج (الإيقاعية، واللغوية، والبلاغية) في السور القرآنية القصار، بالاعتماد على دراسة مجموعة من الشواهد المتضمنة لحوارات متعددة، وأساليب إقناعية متميزة ، تدعو إلى التأثير في المتلقي بتنوع استراتيجيات الحجاج المعتمدة من قبل المتكلم.

ووفق هذا اقتضت طبيعة البحث أنْ يقوم بثلاثة فصول تسبقها مقدمة وتمهيد اشتمل على مطلبين :

الأول: تناولت فيه الباحثة مفهوم الحجاج لغةً واصطلاحًا، مع بيان أهم خصائص الحجاج القرآني والثاني : اختص بالحديث عن مصطلح السور القرآنية القصار وعددها ، وأراء العلماء في تسمية هذه السور بـ(المفصّل) ، مع بيان أهم التصنيفات المعتمدة في تحديد سور المفصّل.

واختص الفصل الأول بدراسة (الحجاج الإيقاعي في السور القصار) وما له من أثر في عرض الجوانب الجمالية والإقناعية التي تعمل على استمالة المتلقي والتأثير فيه بالاعتماد على عناصر الإيقاع المتوفرة في السور القرآنية القصار التي منها (الفاصلة القرآنية ، والتكرار، والجناس ، والمقابلة) ومعرفة دورها في إقناع المتلقي وفق الشواهد القرآنية المعتمدة في هذا الفصل.

وتناول الفصل الثاني (الحجاج اللغوي في السور القصار) وتم من خلاله بيان وظيفة اللغة الحجاجية بوصفها أكثر شمولية من الوظيفة الأساسية المعروفة للغة (وظيفة التواصل) ، وترتكز مباحثه على (العوامل الحجاجية ، والروابط الحجاجية) وأثرها في ربط النصوص وإضفاء سمة التأثير فيها وفق الإمكانيات الحجاجية التي توفرها ، ومن ثم يختم الفصل بمبحث (السلالم الحجاجية) التي تعتمد على تدرّج الحجج من الضعيفة إلى القوية وصولًا إلى النتيجة تدرجًا تصاعديًا أو تنازليًا.

أما الفصل الثالث (الحجاج البياني في السور القصار) فجاء مكملًا للفصلين السابقين بعدِّ علم البلاغة من ضمن العلوم التي انطلقت منها نظرية الحجاج قديمًا ، وأثره في عملية الإقناع اعتمادًا على أهم آليات الحجاج البياني في السور القرآنية القصار المتوفرة منها (التشبيه الحجاجي، و الاستعارة الحجاجية ، والكناية الحجاجية) فجاء التنظير موضحًا للجانب الجمالي المتداول لـ(التشبيه، والاستعارة، والكناية) والجانب الآخر هو(الإقناع) الذي تسهم في إيضاحه من خلال المعطيات الحجاجية في الشواهد المتعلقة بها.

وأعقب تلك الفصول ، مسردًا لأهم النتائج التي توصل إليها البحث عبر فصوله الثلاثة ، وأُردفت بفهرس المصادر والمراجع التي أُعتمِدت في هذا البحث.

أما المنهج المتبع في هذا الدراسة فهو المنهج الوصفي القائم على وصف مجموعة من القضايا المتعلقة بهذه الدراسة، ومن ثم مناقشتها وتحليلها وصولًا إلى النتيجة التي أراد النص تحقيقها عند المتلقي، وإثراء المسائل المهمة التي طرحتها نظرية الحجاج.

ولابد من الإشارة إلى أهم المصادر والمراجع المعتمدة في هذا الجانب أهمها، كتب اللغة والتفاسير، والأدب، والمعاجم بشكل عام، وهناك مجموعة من الدراسات المعاصرة التي اعتمدتُ عليها منها دراستان للسور القصار الأولى (قصار السور دراسة أسلوبية) لكريم طاهر عباس البعاج، والثانية (السور القصار في القرآن الكريم دراسة بلاغية) لمهند عبد الرزاق العصفور فقد أفدت كثيرًا من هاتين الدراستين، و كذلك كتاب (الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية) للدكتور عبدالله صولة، و كتاب (اللغة والحجاج) و (الخطاب والحجاج) لأبي بكر العزاوي، و(أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية) للدكتور مثنى كاظم صادق ، فضلًا عن الكثير من الدراسات الأخرى التي لا تقل شأنًا عن المذكورة آنفًا.

وختامًا قال النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): (مَن صنع إليكم معروفًا فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنَّكم قد كافأتموه) ، بعد شكر الله عزّ وجلّ أتقدم بخالص الشكر والامتنان لأستاذي المشرف الأستاذ المساعد الدكتور (مسلم مالك بعير الأسدي) لكل ما قدّمه لي من نصح وتوجيهات مستمرة، فقد كان معي طوال مدة كتابة البحث خطوة بخطوة عبر تذليل الصعوبات، وتوفير المصادر المهمة، وإعطاء الملاحظ القيمة وتشجيعي للمضي قدمًا، فأسأل الله أن يوفقه ويجعله سراجًا منيرًا في طريق العلم والمتعلمين.

وأخيرًا، فلستُ أدّعي الكمال لعملي، أو أنَّني قد وفيّتُ هذه الدراسة حقَّها بالتقصي والتحليل، لكنَّني أرجو من الله التوفيق والسداد من خلال هذا الجهد اليسير.

الباحثة

التمهـــــــــــــــيد

- المطلب الأول : مفهوم الحِجَاج لغة واصطلاحًا.

- المطلب الثاني: السور القصار(المصطلح والعدد).

المطلب الأول : مفهوم الحِجَاج لغة واصطلاحًا

تشير لفظة (الحِجَاج) في المعاجم العربية إلى ((حاجَجْتَهُ أحاجُّهُ حجاجاً ومحاجَّة حتى حججتهُ أي غلبتهُ بالحججِ التي أدليتُ بها ... وحاجّهُ محاجّةً وحجاجاً نازعهُ الحجّة... والحجّة الدليل والبرهان وقيل: الحجة ما دافع به الخصم... وهو رجلٌ محجاجٌ؛ أي جدلٌ، وحجّهُ يحجُّهُ حجاً: غلبه على حجته، وفي الحديث: فحج آدم موسى ؛أي غلبه بالحجة))[1] ، والحجة هي : ((الوجه الذي يكون به الظّفر عند الخصومة))[2] ، وقد ورد الحديث عن الحجة في القرآن الكريم بعدِّها من آليات الحجاج المهمة التي يعتمدها المُحَاجِج في تحقق الغاية المبتغاة ، قال تعالى:﴿ **قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾[3] ، وجاء في كتاب التعريفات أن ((الحُجَّة ما دُل على صحةِ الدعوى ، وقيل الحُجَّة والدليل واحد))[4].

ومعاني الحجاج متعددة منها((منازعة الخصم والتّحاج والتخاصم))[5] وقد وردت كثير من الآيات القرآنية المتضمنة لهذه المعاني منها قوله تعالى : ﴿**قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ**﴾[6]، وقوله تعالى : ﴿**وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ**﴾[7]، وأيضًا قوله تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا**

---

(١) لسان العرب ، مادة (حجج) :٢٢٨.

(٢) المصدر نفسه:٢٢٨.

(٣) الأنعام:١٤٩.

(٤) التعريفات : ٨٢.

(٥) الخطاب الحجاجي في ديوان لافتات٢ لأحمد مطر : ٢٩.

(٦) البقرة :١٣٩.

(٧) الأنعام : ٨٠.

﴿ ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ﴾[١] .

وفي الاصطلاح يُعدُّ الحجاج من النظريات التي تم دراستها من جوانب عديدة تداولية وبلاغية ، ويقصد به ((سلسلة من الحجج تتجه جميعًا نحو النتيجة نفسها))[٢]، وعند طه عبد الرحمن هو أصل في كل تفاعل حاصل بين المخاطب والمتلقي _بعد عرض الحجج اللازمة_ إما تبادلًا أو تناقلًا أو ربطًا وظيفيًا أو حتى تجاوبًا وجدانيًا[٣] ، فالحجاج عبارة عن خطاب حواري يعمل على توظيف مجموعة من الحجج والأدلة والبراهين التي يعتمدها المتكلم ؛ لغرض التأثير في المتلقي وحمله على الاقتناع بها.

وهناك تداخل بين مفهوم الحِجاج ومفاهيم أخرى منها (البرهان، والجدل، والاستدلال، والتواصل، والحوار) ، فالاستدلال مثلًا مفهوم عام يحضر في البرهنة والحجاج ، مع مراعاة أن البرهنة ترتبط بالمنطق ، وأما الحجاج يرتبط بالخطاب ، فكل برهان يُعدُّ استدلالًا ، ولكن ليس كل استدلال برهانًا ، كذلك فأنّ كلّ حجاج استدلال ، وليس كلّ استدلال حجاجًا[٤]، وكلمة الحجاج بحكم صيغتها الصرفية فأنها تدل على معنى المشاركة القائمة على تقديم الحجج ومقابلتها مع بعضها، وبهذا فهي أشمل وأوسع من الاستدلال البرهاني الذي ظل محافظًا على حده المنطقي، ليصبح الحجاج بذلك منطلقًا من مبدأ الحرية وقائمًا على الحوار[٥].

والحجاج عند عبدالله صولة ضربان: ((ضرب أنت فيه لا تبرح حدود المنطق، فهو ضيق المجال ومرادف للبرهنة والاستدلال ؛ إذ يُعنى بتتبع الجانب الاستدلالي في المحاجة.

([١])الشورى: ١٦.

([٢])الخطاب الحجاجي في ديوان لافتات٢ لأحمد مطر: ٣٠.

([٣]) ينظر، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ٢٢٩.

([٤]) ينظر: الخطاب الحجاجي في ديوان لافتات٢ لأحمد مطر : ٣١.

([٥]) ينظر: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية:٩.

وضرب هو واسع المجال لانعقاد الأمر فيه على دراسة مجمل التقنيات الباعثة على إذعان السامع أو القارئ))[١]. وبشكل عام الدراسات الحجاجية تسعى إلى تحقيق عميلة التفكير والتواصل التي بدورها تغير بعض المواقف الفكرية والعاطفية ، وتؤثر في المتلقي وتحقق قناعات المتكلم في شتى المجالات التي يرمي إليها خطابه الحجاجي.

أما ما يخص الحِجاج في النص القرآني فنجد إنّه متعدد الآليات المستعملة فيه، فمنها ما رُبِطَ بأسباب التنزيل، وتناسب الآيات فيما بينها ، وأوجه الإعجاز البلاغي واللغوي والإيقاعي والمعرفي. والحجاج ناشئ فيه عن طريق خصائصه في القول واختلاف أسلوبه عن غيره من الأساليب، واختلاف حجاجه نتيجة لذلك، مأتاهما هو موقفه من متلقيه في زمن الدعوة وموقفهم منه، فضلًا عن طبيعة التفاعل الناتج بينه وبين متلقيه الأوائل وأثره في تحديد خصائص أسلوبه وما ينتج عنه من حجاج بشكل حاسم، وقيامه بتوجيه دفة الحجاج وجهة أخرى نشأ عنها خصائص أسلوبية معينة[٢]. كذلك نجد أثر الحجاج في آراء المفسرين _ التي اعتمدتها الباحثة في دراسة الحجاج القرآني في السور القصار– فعمل المفسرين يقوم على ((البيان وهو عمل يجنح إلى اختيار الحجج والبراهين المبينة لذاك النص، وتقوم على منطق العقل الذي وظيفته الإقناع ؛ لأنَّ المتلقي قد لا يعي النص القرآني من الوهلة الأولى لكن المفسر يبسطه بطريقة حجاجية تحمل ذاك المتلقي على التقيد بما ورد فيه أو العمل به))[٣].

لذلك لا بدَّ من مراعاة كل ما يتعلق بالنص القرآني ولا سيما العناصر المكونة للخطاب القرآني الحجاجي ، والإلمام بكل الجوانب التي تحمل المتلقي على الاقتناع ، لهذا ((يراعي المفسرون عند الكلام عن شروط المفسر، ضرورة إلمامه بالظروف المحيطة بالنص عند تفسيره من أثر تعميم الدلالة أو الحكم الشرعي أو تخصيصها فبيان سبب النزول مثلا طريقة

---

(١) الحجاج في القرآن الكريم من أهم خصائصه الأسلوبية: ٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٥٤.

(٣) خطاب الحجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي : ٤٦.

إلى فهم معاني الكتاب العزيز))[١] ، إذ تظهر فاعلية الحجاج عن نسق الآيات وما تشتمل عليه من عوامل ، وروابط ، وأفعال كلام ، والسلالم الحجاجية ، كذلك الأساليب بما فيها من الاستفهام، والنفي، والشرط، والقصر، والعطف، والتقديم والتأخير، وكذلك العلل النحوية والصرفية في مباني الكلمات والتراكيب المتنوعة ، والإيقاع القرآني، ومواضع الآيات فيما بينهما ، والصور التي يرسمها النص القرآني في باب الثواب والعقاب والرحمة الإلهية ، والمشاهد الغيبية ، والتشريعات.

(١) خطاب الحجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي : ٤٧.

المطلب الثاني: السور القصار (المصطلح والعدد)

يصطلح على السور القصار بحسب مصادر القدماء بـ(المُفَصَّل) ، وذكرها أبو بكر الأنباري(ت٣٢٨هـ) في مؤلفه على أَنَّ ((المفصل السور القصار ، سميت مفصلًا لكثرة الفصول بينها ببسم الله الرحمن الرحيم))(١) ، لكن الأنباري لم يحدد قصار السور القرآنية(٢) ، كذلك ذكرها ابن خالويه النحوي(ت٣٧٠هـ) ((هذا كتاب ذكرت فيه إعراب ثلاثين سورة من المفصل بشرح أصول كل حرف وتلخيص فروعه))(٣) ، وقد عدَّ سورة الحمد من السور القصار ليتضح بذلك أن المعيار المعتمد في تحديد السور القصار هو عدد الحروف التي تتكون منها كلمات كل سورة ؛ لذلك عدَّ الحمد منها بالاعتماد على قصرها وقلة عدد حروفها(٤).

ويذهب الراغب الأصفهاني(٥٠٢هـ) إلى أَنَّ ((المفصَّل من القرآن السبع الأخير، وذلك للفصل بين القصص بالسور القصار))(٥) ، ومصطلح المفصل موجود عند الزمخشري (٥٣٨هـ) لقوله: ((وفلان قرأ المفصّل وهو ما يلي المثاني من قصار السور ، الطوال ثم المثاني ، ثم المفصل))(٦).

وورد في كتاب البرهان للزركشي (٧٩٤هـ) فيما يخص هذا المصطلح ((قال العلماء رضي الله عنهم : القرآن أربعة أقسام :الطُّول ، والمئون ، والمثاني ، والمفصَّل ... عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: أعطيت السبع الطوال مكان التوراة ، وأعطيت المئين مكان الإنجيل ، وأعطيت المثاني مكان الزبور، وفُضّلت بالمفصّل ... سُمي مفصّلًا لكثرة

---

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس:٢/٢١٦.

(٢) ينظر: قصار السور (دراسة أسلوبية) : ٤.

(٣) كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم :١١.

(٤) ينظر: السور القصار (دراسة أسلوبية):٤.

(٥) المفردات في غريب القرآن: ٦٣٨ مادة (فصل).

(٦) أساس البلاغة :٢ /٢٠٣ مادة (فصل).

الفصول التي بين السور ببسم الله الرحمن الرحيم . وقيل لقلة المنسوخ فيه وآخره : ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾*))(١).

وأشار الزركشي إلى أن سور المفصّل تبدأ بسورة (ق) وعليه فإنَّ عدد السور القصار ست وستون سورة تبدأ بسورة (ق) وتنتهي بخاتمة القرآن سورة الناس(٢) ،وقد صنف العلماء سورة المفصَّل وفق التقسيم التصنيف الآتي (٣):

١- طِوال المفصّل: ويضم خمس عشرة سورة (ق _ النبأ).

٢- أوساط المفصّل : ويضم خمس عشرة سورة (النبأ – الضحى).

٣- قصار المفصّل: ويضم اثنتين وعشرين سورة (الضحى – الناس).

وخصصت الباحثة دراستها في الخيارين الثاني والثالث؛ من أجل حصر السور المدروسة، فضلًا عن طبيعة موضوعات السور القصار فهي تتحدث عن التوحيد والعقيدة والجنة والنار لاسيما أنّها كانت تخاطب قومًا في غالبهم أشبعوا بالشرك بالله، مع وجود بذرة إيمان في قلوب بعضهم متأتية من الأهواء والتيارات الدينية المحيطة كالمسيحية واليهودية فضلًا عن الحنفية التي كانت منتشرة حتى أنّ كفرهم وعبادتهم للأصنام خرّجوها بأنّها تقربهم إلى الله زلفى، وتتميز هذه السور بآيات الترغيب والترهيب ؛ لإعادة الإنسان إلى الطريق الصحيح.

---

*الناس:١.

(١) البرهان في علوم القرآن :٢٤٤-٢٤٥.

(٢) ينظر :قصار السور (دراسة أسلوبية) :٥.

(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن : ١٨١/١.

الفصـــــــــــــل الأول:

الحجاج الإيقاعي في السور القصار

- توطئة.
- المبحث الأول : الفاصلة القرآنية .
- المبحث الثاني : التكرار القرآني.
- المبحث الثالث: الجناس القرآني.
- المبحث الرابع : المقابلة القرآنية.

توطئة:

يُعدُّ الإيقاع من العناصر الحيوية التي تضفي على النص قيمة دلالية وجمالية ، بحسب المفردات والتراكيب الخاصة به وأهميتها في البناء اللغوي وتماسكه بشكل عام ، فأثره فعال في القرآن الكريم إذ هو من مظاهر القرآن الإعجازية ، فهو بألفاظه وموسيقاه يجعل النفس الإنسانية تميل إليه وبالتالي يتحقق الغرض الذي تنشده النصوص القرآنية ، والإيقاع القرآني لا يشبه الإيقاع المتعارف عليه في الشعر بتوفر عناصر الموسيقى الداخلية والخارجية ؛ لأنه كلام نثري لا شعري .

وكان من البديهي أن يكون القرآن الكريم ((وقد أُنزل ليكون كتاب عقيدة شاملة وديناً عالميًا ، أن يتجاوز الموسيقى التقليدية المحلية المتعارف عليها في البيئة العربية الجاهلية، وأنْ يُحِدثَ انقلابًا هائلًا في الأدب العربي ، بتغييره الأداة الفنية في التعبير. فهو من ناحية قد جعل الجملة المنظمة في موضع البيت الموزون ، وجاء من ناحية أخرى بفكرة جديدة ، أدخل بها مفاهيم وموضوعات جديدة لكي يصل العقلية الجاهلية بتيار التوحيد))[١].

ليجد العرب أنفسهم أمام ظاهرة تتمثل بـ((اتساق القرآن ، وائتلاف حركاته وسكناته ، ومداته، وغناته، واتصالاته ، وسكتاته، ذلك ما يسترعي الأسماع، ويستهوي النفوس بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام من منظوم أو منثور))[٢]. ومن خصائص الإيقاع القرآني هو التجدد فهو كتاب لا يُمَلُّ عند الإعادة والتكرار ؛ فكلما سمعته أو قرأته وجدته غضًا جديدًا كأنك تقرؤه لأول مرة[٣].

وقد تعددت الخصائص الإيقاعية للقرآن الكريم [٤] ، فقد كان للجانب الصوتي تأثير كبير في نفوس متلقيه ، حتى قيل عنه: ((يقع في النفس عند تلاوته وسماعه من الروعة ما يملأ القلب هيبة، والنفوس خشية ،وتستلذه الأسماع ،وتميل إليه بالحنين الطباع، سواء أكانت

---

(١) الجرس والإيقاع في تعبير القرآن:٣٣٠.

(٢) أساليب التعبير الإيقاعي في القرآن المكي: ١٣.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٤.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ، ١٣.

فاهمة لمعانيه أم غير فاهمة، عالمة بما يحتويه أو غير عالمة، كافرة بما جاء به أو مؤمنة))[١] فكتب السير تخبرنا بقصص إسلام الكثيرين بسبب الاطمئنان النفسي عند تلاوته أو سماعه بدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[٢].

وتؤكد كثير من الدراسات على العلاقة بين التأثير والإيقاع ((فإنك إذا قرأت القرآن قراءة سليمة وتلوته تلاوة صحيحة أدركت أنَّه يمتاز بأسلوب إيقاعي ينبعث منه نغم جميل ساحر يبهر الألباب ويسرق الأسماع ويسيل الدموع من العيون ويستولي على الأحاسيس والمشاعر))[٣] ، وليس القصد من الإيقاع القرآني أن يكون المتلقي عالمًا بالمقامات وضروب الألحان ، بل تتجلى أهميته في تحقق الانفعال الذي يتلبس القارئ عند قراءته حتى يتمكن من إيصاله للمستمعين[٤]، وقد تنوعت مظاهر الإيقاع في السور القرآنية القصار منها (الفاصلة، والتكرار، والجناس، والمقابلة، وغير ذلك) وقد كان لكل واحد وظيفته الخاصة فضلًا عن اشتراكهم في أداء الوظيفة الحجاجية والجمالية في الوقت ذاته.

---

(١) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان : ٧.

(٢) الأنفال:٢.

(٣) الإعجاز في نظم القرآن : ١١٢.

(٤) ينظر: أساليب التعبير الإيقاعي في القرآن المكي : ٥٠.

المبحث الأول: الفاصلة القرآنية

تُشكل الفاصلة وحدة إيقاعية ضمن النصوص القرآنية أو النثرية ، فهي كالقافية في الشعر ، ويقصد بها ((الكلام المنفصل مما بعده، وقد يكون رأس آية وقد لا يكون، وتقع الفاصلة عند نهاية المقطع الخطابي، وسميت بذلك لأن الكلام ينفصل عندها))([١]). وتعرف أيضًا بأنها ((حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني ... وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني لها. وهو قلب ما توجبه الكلمة في الدلالة))([٢]). فهي على اختلاف مفاهيمها يقصد بها في القرآن الكريم التمييز بين الآيات ، فهي آخر كلمة من الجملة الواردة في الآية الأولى لتشير بعد ذلك لبدء آية أخرى بانتهاء سابقتها.

وللفاصلة أهمية كبيرة في النص القرآني تتضح من خلال أثرها في الإعجاز القرآني؛ وذلك بتنوع مجالات استعمالها إذ لو حذفت لاختل المعنى في الآية ([٣]) ، وكذلك فإنَّها تمكن القارئ من الوقوف عليها من دون أن يصحبها خلل في القراءة ، ولا نفور لأسماع المتلقين. وبهذا تؤدي الفاصلة أثرًا مهمًا عن طريق تحقيق الاتساق والانسجام في السور القرآنية. فهي تحمل شحنتين في وقت واحد شحنة مستمدة من الواقع الموسيقي ، وأخرى من المعنى المتمم للآية القرآنية([٤]). فهي تضفي على النص طاقة إيحائية موسيقية تعمل على جذب المتلقي، وهذا ما يجعلها قادرة على إقناع المتلقي بعظمة النص القرآني وبلاغته وصدق ما جاء به، بدليل إسلام الكثيرين فهي باشتراكها مع العناصر الموسيقية الأخرى في النص القرآني تشكل صورةً تامة الأجزاء، وقد حفلت السور القرآنية القصار بالفواصل القرآنية التي عملت على خلق العديد من عوامل التأثير في المتلقي عن طريق طرح موضوعات عديدة ومعالجتها، وما يميز الفواصل القرآنية – ولاسيما في السور القصار– تنقلها من معنى لآخر كما في سورة الفجر ففي **الآيتين:** ﴿**فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ**

([١]) مباحث في علوم القرآن : ١٤٥.

([٢]) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ٩٧.

([٣]) ينظر: الفاصلة في السياق القرآني سورة مريم أنموذجا : ٥.

([٤]) ينظر: التعبير الفني في القرآن: ٢٠٩.

﴿ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ ، نلاحظ أن الفاصلة هي (الدال) ، فالآيتان هنا تشيران إلى سياق العذاب والوعيد ، في حين نلاحظ اختلاف المعنى والفواصل في الآيات الأخيرة من السورة : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾[1] ، جاء الاختلاف في الفواصل تناسبًا مع موضع الحديث عن الرحمة الإلهية التي تشمل العبد الذي حان موعد رحيله عن العالم الدنيوي. فانتقل المشهد من التوعد الشديد في الفواصل المنتهية بصوت الدال إلى الراحة والطمأنينة وتبشير النفس بالجنة ، وهذا بدوره أحدث فرقًا موسيقيًا على الأسماع ؛ فقد جاءت الفاصلتان في ختام السورة على الياء ، وقد تناسب هذا مع المعاني التي تضمنها انتقال ((السّورة في آخر مطافها إلى تلك النفوس المطمئنة ثقة باللّه وبهدف الخلق، على الرغم من معايشتها في خضم صخب الحياة الدنيا، فتخاطبهم بكلّ لطف ولين ومحبّة، إذ تقول: (يا أيّتها النفس المطمئنة)..(ارجعي إلى ربّك راضية مرضيّة).. (فادخلي في عبادي).. (وادخلي جنّتي).فهل ثمّة أجمل وألطف من هذا التعبير!... تعبير يحكي دعوة اللّه سبحانه وتعالى لتلك النفوس المؤمنة، المخلصة، المحبّة والواثقة بوعده جلّ شأنه.. دعوتها لتعود إلى ربّها ومالكها ومصلحها الحقيقي ... دعوة مفعمة برضا الطرفين، رضا العاشق على معشوقه، ورضا المعشوق على عاشقه))[2].

وفي سورة المسد جاءت فواصل الآيات الأربع الأولى على روي الباء ، بينما انتقلت الآية الأخيرة إلى روي الدال في قوله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾ ﴾[3]. فعلى الرغم من تعادل الصفات الصوتية القوية بين حرفي الباء

---

(١) الفجر: ٢٥-٣٠.

(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٢٥٥/٢٩-٢٥٦.

(٣) المسد:٥.

–فاصلة الآيات الأولى– والدال –فاصلة الآية الختامية– ، إلا أن هناك ثمة فروق جوهرية تميز بينهما ، فصفة الباء المتوسطة هي (الإذلاق)، بينما صفة الدال المتوسطة هي (الإصمات)، والفرق الآخر هو أن مخرج الباء هو الشفتان معًا مع إطباقهما إطباقًا تامًا، بينما حرف الدال يُعد من الحروف الأسنانية الشديدة أو الإنسدادية المجهورة التي تحتاج مجهودًا كبيرًا في تقطيعها، وهذا الاختلاف في الصفات الصوتية مهم لتشكيل سياق قائم على القطع والخرق الصوتي([1]). وتتمثل الغاية من تغير الفاصلة من الباء إلى الدال هو مناسبتها لدلالة الآية ، فـ((المسد مصدرُ مَسَدَ الحبلَ يمسدُهُ مسدًا إذا أحكم فتله))([2]) ، فهو ليف من ليف اليمن قوي ، والحِبال التي تفتل منه قوية وصلبة ، وقد قدم الخبر من قوله : " في جيدها" للاهتمام ووصف تلك الحالة الفظيعة التي عوضت فيها (أم جميل) بحبل في جيدها عن العقد الذي كانت تُحلي به جيدها في الدنيا([3]). فالآية تحمل تقنية فنية رائعة تتمحور حول تقريعها للأسماع عن طريق العدول إلى روي الدال ليتناسب مع الدلالة القوية التي يراد من المتلقي فهمها ، وتجنب فعلها والتمثل بمن قام بها حتى لا تكون عاقبته كعاقبة أم جميل التي عتت عن أمر ربها و بما جاء به نبيها، وهذا الأمر يحمله على السعي إلى تعديل سلوكه ومن خلال هذا ندرك الأسرار الفنية التي تكمن وراء العدول من فاصلة إلى أخرى.

وعلى الرغم من التنوع الموسيقي الحاصل في السور القرآنية القصار؛ بسبب تنوع الفاصلة في السورة الواحدة إلا أننا نجدها قد تميزت أيضًا بوجود سور متماثلة الفواصل تمامًا أي تماثل الروي في السورة بأكملها ، ومنها متماثلة الروي تقريبًا أي معظم روي فواصلها متماثل ، ومنها متقاربة : أي رويها متقارب كصوتي الميم والجيم([4]).

([1]) ينظر: قصار السور (دراسة أسلوبية): ٣١-٣٢.

([2]) إعراب ثلاثين سورة:٢٢٧.

([3]) ينظر: التحرير والتنوير: ٦٠٧/٣٠.

([4]) ينظر: قصار السور (دراسة أسلوبية): ١٤.

فمن الفواصل المتماثلة تمامًا ما ورد في سورة الشمس ، إذ جاءت على روي واحد وهو (الألف) في قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[1]، فقد عملت الفاصلة المتماثلة على ربط الأفكار مع بعضها البعض لتوحي ببناء فني متكامل بدأ بالقسم بعدة مظاهر من صُنع الله ، فضلًا عن تهذيب النفس، وتطهير القلوب من الأمراض ، وهذا من المعاني الأساسية التي دارت حولها السورة ؛ لأن فلاح الإنسان إنما يتوقف على تزكية نفسه. فضلًا عن ربطها بمقطع آخر فيه ذكر لقوم (ثمود) ؛ بسبب تركهم تزكية النفس وتمردهم على الأوامر الإلهية ، فهم بذلك استحقوا جزاء ما فعلوه من شقاء وعذاب دائم يظهر هذا في قوله تعالى:﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ۝١١ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ۝١٢ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَىٰهَا ۝١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقۡبَىٰهَا ﴾[2]، وبهذا تكتمل ملامح البناء الفني للسورة ((هو أن النص في صدد التنبيه على مسؤولية الإنسان: بعد أن حددها في القسم الأول من السورة... لذلك، فإن تذكيره بآية واقعة: كافٍ بإثارة التنبيه المذكور عليه... والأمر نفسه حين نتابع سائر مفردات الأحداث في القصة: إذ نجد أنَّ نفس حادثة (العقر) تمثل الحدّ الأقصى من طغيان النفس ، كما أنَّ الجزاء الدنيوي الذي ترتب على ذلك : يمثل بدوره سمة مثيرة في التعبير الذي صاغه النص، إذ عبّر النص عن ذلك بقوله تعالى:﴿ **فَدَمْدَمَ عَلَيهِم رَبُّهُم بِذَنْبِهِم فَسَوَّاهَا**﴾، ... فنستخلص من ذلك بأنَّ عنصر(الشر) قد تمكن من الشخصية المذكورة بنحوٍ يتناسب مع السمة التي خلعها النص عليها حينما وسمها بقوله:" **إِذِ**

([1]) الشمس:١-١٠.

([2]) الشمس:١١-١٥.

انْبَعَثَ أَشْقَاهَا"))[١]، وقد تميزت هذه السورة بأسلوب التقابل أيضًا خاصة الآيات (١-١٠) إذ تقابلت كل آيتين مع بعضهما البعض، وهذا له إيحاؤه الخاص وأثره في نفس المتلقي فيقف متفكرًا بما جاء في القرآن من عجائب يعجز العقل البشري عن إدراكها حائرًا فكره أمامها.

وقد وردت سور قصار عديدة متماثلة الروي تقريبًا تميزت بميل الأسلوب القرآني المعجز فيها إلى تشغيل عدة تقنيات صوتية ، ومن هذه التقنيات (لزوم ما لا يلزم) ، ويعرف بالإعنات أيضًا[٢]، و((هو أن يلتزم الناثر في نثره ، أو الشاعر في شعره قبل روي البيت من الشعر حرفًا فصاعدًا على قدر قوته، وبحسب طاقاته، مشروطًا بعدم الكلفة وقد جاء ذلك في الكتاب العزيز مواضع رائعة الحسن))[٣] ، ومن هذه السور (الضحى، الانشراح، العاديات،...) ، ويظهر هذا في قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ**﴾[٤]، ورد الخطاب خاصًا بالنبي محمد (صلى الله عليه وآله) ، عامًا بالحكم له ولغيره في عدم قهر اليتيم ونهر السائل المحروم ، فـ((قوله : ﴿**فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ**﴾ مقابل لقوله: ﴿**أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ** ﴾* لا محالة ، أي فكما آواك ربك وحفظك من عوارض النقص المعتاد لليُتم ، فكن أنت مُكرماً للأيتام رفيقاً بهم ، فجمع ذلك في النهي عن قهره ، لأن أهل الجاهلية كانوا يقهرون الأيتام ، ولأنه إذا نهى عن قهر اليتيم مع كثرة الأسباب لقهره ؛ لأن القهر قد يصدر من جراء القلق من مطالب حاجاته فإن فلتات اللسان سريعة الحصول (...) وقوله: ﴿**وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ**﴾مقابل قوله: ﴿**وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ** ﴾*

([١]) التفسير البنائي : ٣٥٣/٥-٣٥٤.

([٢]) ينظر: قصار السور: ١١.

([٣]) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن : ٥١٧.

([٤]) الضحى: ٩-١٠.

* الضحى:٦.

* الضحى:٧.

لأن الضلال يستعدي السؤال عن الطريق، فالضال معتبر من نصف السائلين))([1]) ، وقد انتهت فاصلة الآيتين بحرف الروي نفسه (الراء) ، مع التزامها بحرف يسبق حرف الروي وهو (الهاء) _ لزوم ما لا يلزم_ ونجد إنّ هذا قد جاء متناسقًا مع التنوع الموسيقي الوارد في السورة بدليل تقابل هاتين الآيتين مع آيتين اخرتين مختلفتي الفاصلة في السورة نفسها، فلم يبعث هذا على تنافر الألفاظ أو خلق رتابة موسيقية ، بل عمل على تصاعد الموجات الصوتية بالسورة التي عملت بدورها على تنبيه المتلقي بضرورة مراعاة اليتيم ، وإعطاء السائل سؤله أو مساعدته في إيجاد ضالته.

وتظهر حجاجية الفاصلة أيضًا في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾([2])، تميزت هذه السورة أيضا بتقنية لزوم ما لا يلزم عن طريق التزام حرف (الراء) قبل حرف الفاصلة (الكاف) في الآيات الأربع من السورة. والتي جاءت فواصلها على صوت الكاف التي شغلت نصف فواصل هذه السورة، ثم جاءت بعدها فاصلتان تميزها الألف المسبوقة بالراء في قوله: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾، وكذلك الباء لفاصلتين ختاميتين، ولتكرار الآية جميعها ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ أثرًا في زيادة الإبانة والتأييد، وهو يُعدُّ من بديع التكرار([3])، وهذا بدوره يُشكل للمتلقي ((مثيرات متتالية للعقل والحس؛ فإن لم يؤثر في نفوس المتلقين الأول، أثر الثاني، وإن أثر الأول، زاد الثاني من الأثر، وعزز الإيمان بتعزيز أسبابه))([4]).

([1]) التحرير والتنوير:٣٠/٤٠١-٤٠٢.

([2]) الانشراح:١-٤.

([3]) ينظر: التكرار في الفاصلة القرآنية الجزء الأخير من القرآن الكريم نموذجًا :٢١.

([4]) التكرار في الفاصلة القرآنية: ٢١.

وتتوالى الوظيفة الإيقاعية ذات التأثير الموسيقي الجميل للفاصلة كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴾(١) ، وقد أعجب ابن الأثير بالرنين الموسيقي الوارد في الآيات الثلاث الأولى من سورة العاديات ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝١ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۝٢ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴾(٢) ، فقال: ((ألا ترى كيف جاءت هذه الفصول متساوية الأجزاء حتى كأنها أفرغت في قالب واحد، وأمثال ذلك في القرآن كثيرة، وهو أشرف السجع منزلة للاعتدال الذي فيه))(٣). فقد جاءت هذه الآيات قصيرة، وسريعة، ومتساوية في الطول مع تناسب التنوع الموسيقي مع الطابع الدلالي للسورة، وهو الحديث عن غارات الخيل وكأن الموسيقى تتحرك وفقًا لحركة الخيل في ساحات الوغى، لترسم لنا مشهدًا متحركًا يبين أثر الوقع و الصوت الذي يتردد في جوفها حين مقابلة العدو. و((من بديع النظم وإعجازه إيثار كلمات «العاديات وضبحاً ، والموريات وقدحا ، والمغيرات وصبحاً ، ووسطن وجمعاً» دون غيرها ؛ لأنها برشقاتها تتحمل أن يكون المقسم به خيل الغزو ورواحل الحج. وعطفت هذه الأوصاف الثلاثة الأولى بالفاء ، لأن أسلوب العرب في عطف الصفات وعطف الأمكنة أن يكون بالفاء وهي للتعقيب ، والأكثر أن تكون لتعقيب الحصول))(٤) فالقرآن الكريم عمد إلى مثل هذا الأسلوب من أجل إضفاء المزيد من التماثل والتشاكل الصوتي بين الآيات في السور القرآنية القصار(٥).

ومن السور التي جاءت على روي متقارب سورة الفلق إذ وردت متنوعة الفواصل لكنها متقاربة في الروي (القاف، الباء، الدال) قال تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا

---

(١) العاديات:٩-١٠.

(٢) العاديات:١-٣.

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٢٣٩/١.

(٤) التحرير والتنوير: ٥٠١/٣٠.

(٥) ينظر: قصار السور(دراسة أسلوبية) :١١.

﴿حَسَدَ﴾([1])، تعد هذه السورة تعويذة للحسد، فهي تعالج مرضًا اجتماعيًا يعاني منه الكثير، وتعمل على طمأنة المستعيذ بها من كل الشرور، و((قد جاء التناسق بين جزيئات السورة فيما بينها، وفي توزيعها على الرقعة المرسومة عليها، وفي ألوانها وظلالها، جاء متناسقاً مع جو التعويذة العام، بما فيه من غموض وإبهام))([2]) ، فالقرآن الكريم اعتنى بفواصله عناية شديدة ونرى مصداق هذا الأمر في هذه السورة من حيث تناسب الآيات دلاليًا وصوتيًا.

فقد توزعت فيها الأصوات بين الشدة واللين والجهر والهمس ، فظهر الإيقاع القوي لها واضحًا ؛ لأن نسبة الأصوات فيها ذات الجرس القوي جاءت غالبة جدًا فـ(القاف، والباء، والدال) من الأصوات الشديدة والقوية، فضلًا على تناسبها مع معاني الآيات وأغراضها ، وفيما تريد إثارته في نفوس المخاطبين على وفق مقام الخطاب([3])، فكانت السورة تهدف إلى تنبيه المخاطبين بضرورة الالتجاء لله عزّ وجلّ وحده ، ليدفع الشر والسوء عنهم لذلك تدرجت الفواصل في هذه السورة ، وجاءت شديدة تتناسب مع شدة التنبيه وضرورة التعوذ بالله من كل يخيفه.

وهكذا نرى تنوع ظاهرة الإيقاع الصوتي المتعلق بالفواصل القرآنية في السور القصار، فقد جاءت متنوعة في خصائصها الموسيقية والدلالية على وفق المواقف التي وردت فيها بين التماثل التام ، والتقريبي ، والتقارب ، فضلًا عن تنوع حروف الروي بين الشدة واللين والجهر والهمس والتكرار؛ لتؤدي _الفواصل_ بذلك الوظيفة الحجاجية الإقناعية لمتلقي الخطاب الإلهي.

([1]) الفلق :١-٥.

([2]) التكرار في الفاصلة القرآنية: ٢٢.

([3]) ينظر: دلالات النظم الصوتي في سورة الفلق : ٢٢٢.

المبحث الثاني: التكرار القرآني

تُعدُّ دراسة التكرار من الدراسات المهمة التي حظيت باهتمام واسع في مجال الدراسات اللسانية، ويُقصد به ((تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير، بحيث تشكل نغماً موسيقياً يتقصده الناظم في شعره أو نثره))(١)، فهو ليس مجرد تكرارًا اعتباطيًا للألفاظ والعبارات ، بل يعمل على تحقيق الانسجام الداخلي للنص الذي يرد فيه، وله استعمالات عدة بحسب المواضع التي يرد فيها، وورود في القرآن الكريم قد أكدَّ عجز العرب عن معارضته؛ فهو ضرب من ضروب القدرة الكلامية التي تميزَ بها القرآن الكريم فقد كان العرب يشعرون أمامه بـ((قوة غريبة فيه لم يكونوا يعرفونها إلّا توهمًا ، ولضعف غريب في أنفسهم لم يعرفوه إلّا بهذه القوة؛ لأنَّ المعنى الواحد يتردد في أسلوبه بصورتين أو صور كلّ منهما غير الأخرى وجهًا أو عبارة وهم على ذلك عاجزون عن الصورة الواحدة ، ومستمرون على العجز لا يطيقون ولا ينطقون ، فهذا لعمرك أبلغ في الإعجاز، وأشد عليهم في التحدي ؛ إذ هو دليل على مجاوزتهم العجز النّفسي الذي قد تمكّن معه الاستطاعة أو تتهيأ المعاريض حينًا بعد حين إلى العجز الفطري الذي لا يتأوّل فيه المتأوّل ولا يعتذر منه المعتذرون ، ولا يجري الأمر فيه على المسامحة))(٢).

وفيما يخص وروده في القرآن الكريم ، فإن له دلالات كثيرة وأغراض عديدة، ومنها التقرير والتأكيد ،فـ((التكرار لم يكن في الأصل إلا وسيلة لإعطاء العبارة زيادة في القوة))(٣)، ولا يقتصر على هذا الغرض بل له أغراض أخرى كالتعظيم والتنبيه والتشريف...

وانمازت بعض السور القصار باشتمالها على التكرار ومنها سورة الزلزلة التي ورد فيها التكرار المقطعي متمثلًا بألفاظ عديدة كما في قوله تعالى : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا

(١) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب: ٢٣٩.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية :ص ١٩٤.

(٣) اللغة ج . فندريس : ٢٠٠.

﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾[١] فجاءت لفظة (زُلْزِلَتْ) مركبة من مقطعين هما (زُلْ) و (زِلْ) وهي من الألفاظ الاهتزازية التي تُشعر النفس بالشدة والقوة؛ نتيجة تكرار كلمة قوية وكاملة كـ (زلزلت) غايتها بيان أحداث ذات أهمية بالغة، خاصة وأن هذه السورة تتحدث عن أحداث يوم القيامة وأهوالها المفزعة، و((في ذلك الجو المليء بالرهبة والفزع، تصيب الإنسان دهشة ما بعدها دهشة فيقول في ذعر: ما لهذه الأرض تتزلزل وتلقي ما في باطنها ؟ (وقال الإنسان ما لها)))[٢] ، وأضفى التكرار الوارد في لفظة (أشتاتًا) في قوله تعالى:﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾[٣]معنى التشتت الناتج عن شدة المشهد ، من خلال لمحة فنية وتعاضد صوتي مرتبط ببنية المفردة الصوتية، وما جاء فيها من خصائص الأصوات التي رسمت مشهدًا[٤] يجعل الناس مضطربين ومتشتتين من هول ما رأوا.

ويتوالى الحديث عن الأهوال التي يواجهها الإنسان في الآخرة كما في قوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾[٥] تحمل هذه السورة إيقاعًا عميقًا مقترنًا بطبيعتها التي تعبر عن لهو الإنسان عن الأمور المهمة التي يتوجب عليه تحصيلها، استعدادًا لما ينتظره في نهاية أيام عمره ، فلا بدّ من أن يكون التكاثر في الأولاد والأموال فيما يرضي الله تعالى؛ لأن ما تفعله سيتمثل لك فيما بعد عندما ينقطع عملك عند زيارة المقابر. وتمثل التكرار في قوله تعالى:(كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ، كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ) ليؤكد على الرهبة المتأتية من تكرار((هذا الإيقاع بألفاظه وجرسه الرهيب

---

(١) الزلزلة: ١-٥.

(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٣٦٨/٣٠.

(٣) الزلزلة:٦.

(٤) ينظر : التصوير الصوتي في سورة الزلزلة :١٢.

(٥) التكاثر:١-٤.

الرصين :{ ثم كلا سوف تعلمون } ، ثم يزيد التوكيد عمقاً ورهبة ، وتلويحاً بما وراءه من أمر ثقيل ، لا يتبينون حقيقته الهائلة في غمرة الخمار والاستكثار:{ كلا لو تعلمون علم اليقين}))[١] ، فالآية الأولى (كلا سوف تعلمون) تؤكد على الردع والزجر عن الانشغال بملذات الحياة ، والثانية (ثم كلا سوف تعلمون) أفادت الزيادة في الوعيد والاستعداد لما سيلاقيكم بعد الموت، ومن شأن التكرار في هذا المقطع أن يحقق إيقاعًا موسيقيًا متناسقًا ، يعمل على شد انتباه المتلقي ، وكأنه آية واحدة ذات إيحاء يثير في النفس الخوف والفزع من رهبة الموقف معززًا إياه بقوله: (كلا لو تعلمون علم اليقين) فلو تحققت لديكم الرؤية الحقيقية لما انشغلتم فيما لا فائدة منه ، ولتكشفت فيكم حقيقة ((الإدراك لهذا الأمر الجلل، الذي يبعث فيك الخوف والرهبة ؛ لتفطن لنفسك فتنقذها ممّا هي فيه من غفلة مهلكة ، كما يكشف هذا الشعور الخائف المرتبك ، الذي يتصاعد أيضًا ، مع هذا التصاعد النغمي في هذه الآيات؛ فمن شأن هذا التصاعد بتسلسله المترابط أن ينقل إحساسك من درجة ، إلى درجة أعلى فأعلى، وكأنه يصور فيك تنفس الصعداء ، أمام التهديد والوعيد))[٢].

ولتكرار الحرف مع بعض المقاطع الصوتية دور في حجاجية النص القرآني ، فمن ذلك تكرار صوت السين في سورة الناس له غاية خاصة مفادها تنبيه النفس الإنسانية وتحصينها من الشرور التي تواجهها قال تعالى: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦ ﴾[٣] ، تمثّل التكرار في عدة مواضع منها في الصوت ومنها في الكلمة، ومن ذلك تكرار كلمة (الناس) التي تكررت في فواصل هذه السورة لتبعث على الهدوء والهمس في النطق ، إضافة إلى تكرار مقطعين في كلمة (يوسوسُ) ، فهي مكونة من حرفي

---

(١) في ظلال القرآن: ٨٨/٨.

(٢) التحليل الصوتي للنص (بعض قصار سور القرآن الكريم أنموذجًا): ٨٣.

(٣) الناس:١-٦.

الواو والسين ، وجاءت دلالتها في المعاجم بأن ((الواو والسين كلمة تدل على صوت غير رفيع [جهير]. يقال لصوت الحَلْي : وَسْواس. وهمسُ الصائدِ وَسْواس. وإغواءُ الشيطانِ ابن آدمَ وَسْواس))([1]). وبشكل عام فالسين صوت صامت مهموس لثوي ، ولهذا الصوت ميزة خاصة في السورة توحي بضرورة التنبه من أهل الشر والمكائد ، و((وجه الحاجة إلى هذا البيان خفاءُ ما ينجرّ من وسوسة نوع الإنسان ، لأن الأمم اعتادوا أن يحذرهم المصلحون من وسوسة الشيطان ، وربما لا يخطر بالبال أن من الوسواس ما هو شر من وسواس الشياطين ، وهو وسوسة أهل نوعهم وهو أشد خطراً وهم بالتعوذ منهم أجدر ، لأنهم منهم أقرب وهو عليهم أخطر، وأنهم في وسائل الضر أدخل وأقدر))([2]) ، وقد صوّر هذا الصوت حالة الهمس الخفيّ، مستعينًا بصوتي الصاد والواو والفاء، وتشترك هذه الأصوات في صفتي الهمس والاحتكاك، وتقاربها في وضع اللسان عند اللثة أو الأسنان ، ويدعمها في إبراز الوسوسة صوت الواو المجهور([3])، وعمل صوت السين على إبراز الوسوسة المتعلقة بوسوسة الشيطان للنفس في العالم غير المدرك، و سمي بالوسواس؛ لأنه يحدث النفس حديثًا خفيًا في عالم خفي عن عالم المادة.

([1]) معجم مقاييس اللغة: مادة (و،س).

([2]) التحرير والتنوير: ٣٠/٦٣٥.

([3]) ينظر: التحليل الصوتي للونص (بعض قصار سور القرآن الكريم أنموذجًا): ١٣٨.

المبحث الثالث: الجناس القرآني.

يُعرف الجناس بأنه اتفاق اللفظتين في اللفظ مع اختلافهما في المعنى ، فهو ذو جمالية خاصة مع التكرار في الجرس الصوتي. فجوهر الجناس يقوم على أساس الاشتراك اللفظي، فهو ضرب من ضروب التكرار الذي يعمل على تقوية نغمية جرس الألفاظ (١). ولا يستحسن الإكثار من الجناس؛ لأن هذا يؤثر سلبًا على دلالة المعنى والغاية التي استعمل لأجلها ، وتترتب عليه أمور عديدة، منها:

١ـ التجاوب الموسيقي الذي يصدر عن تماثل الكلمات تماثلًا كاملًا كان أو ناقصًا بحيث تميل إليه القلوب وتستسيغه الأسماع.

٢ـ ما يُحدثه الجناس من ميل النفس إلى التشوق والإصغاء ؛ لأن اللفظ المشترك إذا حمل على معنى ثم جاء ثانيًا كان للنفس تشوق إليه، وقد ذكر عبد القاهر الجرجاني فائدة أخرى للجناس في كونه خداعًا عن الفائدة مع القيام بإعطائها ، والإيهام بالنقص(٢).

فهو بشكل عام يعمل على رسم صورة ذات دلالة بالاعتماد على لفظتين محددتين، وللجناس أقسامٌ عديدة* ؛ تبعًا لاختلاف بعض الأصوات أو النقط ، أو تبديل يحصل في أصل اشتقاق الكلمات والقلب وغيره ، فهي تختلف في طبيعتها التكوينية وتشترك بصفتي التكرار الكلي أو الجزئي، فضلا عن ذلك فإنَّ اتصافها باللفظ المتكرر يخالف نظيره في المدلول الذي يؤديه، وهذه مزية رئيسة يتميز بها الجناس من غيره من أنواع التكرار(٣).

---

(١) ينظر: جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب: ٢٧٠.

(٢) ينظر: الجناس البلاغي في تفسير فتح القدير للإمام الشوكاني : ٧٢.

* أقسام الجناس : الجناس التام: وهو أن تتفق اللفظتان في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها، والجناس الناقص: وهو أن تختلف اللفظتان في أعداد الحروف بزيادة أو نقصان ، والجناس اللاحق : وهو أن تختلف اللفظتان بحرف واحد، ويكون هذان الحرفان غير متقاربين في المخرج ، والجناس المضارع : وهو أن يختلف اللفظان بحرف واحد، ويكون هذان الحرفان متقاربين في المخرج ، والجناس المقلوب : وهو أن يختلف اللفظان في ترتيب الحروف ، والجناس الاشتقاقي : وهو أن يجمع اللفظين الاشتقاق ، والجناس المحّرف: وهو أن يختلف اللفظان في هيئات الحروف ، والجناس المصّحف : وهو أن يكون النقط فيه فارقًا ، ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة :٢٨٨-٢٩٣.

فللجناس فوائد جمة متعلقة بمقاصد البلغاء والمتكلمين وأهدافهم ، فهم يقصدون إليها قصدًا عن طريق الأساليب والصور المختلفة للجناس ، وإذا كان لهذا اللون مدخل في الإيقاع الصوتي فبالإمكان إيجاده بكثره في بلاغة الأساليب، فهو بذلك يُعد في صميم البلاغة وداخل في جوهرها، وليس المراد منه الزينة والزخرفة فحسب ، بل إن التزيين به يُكسب الكلام جمالًا وحسنًا من دون الإخلال ببلاغته، والدليل على علو شأنه ورفعة مكانته بين الوان الفنون الأدبية، وكثرة صوره التي تكسب الكلام جمالًا ، وتعدد أساليبه في القرآن الكريم([1]).

وما يهمنا هو التركيز على الوظيفية الإيقاعية الحجاجية التي يؤديها الجناس الحجاجي _بغض النظر عن أنواعه_ في السور القرآنية القصار فهو يعمل على استمالة المتلقي عن طريق اعتماده على البعد الجمالي النفسي الذي يهز أوتار القلب. و يعمل أيضًا بخاصية التأثير في السامع بالاعتماد على التجاوب الموسيقي الذي تصدره الكلمات المتماثلة تماثلًا كاملًا أو ناقصًا([2]). ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**تَبَّتْ يدا أَبِى لَهَب وَتَبَّ.... سَيَصْلَى نَارَاً ذَاتَ لَهَب**﴾([3]) ، الجناس الوارد هنا جناس تام في كلمة (لهب) التي وردت مع (أبو لهب) للدلالة على كنيته و (نارًا ذات لهب) التي تشير إلى وصف النار ، فقد أضفت هذه المفردة تناسقًا واضحًا في سياق السورة فضلًا عن رسم صورة حسية _يمكن تخيلها في الأذهان_ تتميز بالتهكم والسخرية من أبي لهب والمصير الذي سيجازى به وهو الخسران الدنيوي و الأخروي ، وقد جاء ((وصف النار ب { ذات لهب } لزيادة تقرير المناسبة بين اسمه وبين كفره، إذ هو أبو لهب والنار ذات لهب . وهو ما تقدم الإيماء إليه بذكر كنيته ....، وفي وصف النار بذلك زيادة كشف لحقيقة النار، وهو مِثل التأكيد .وبين لَفظي{ لهب} الأول و

([3]) ينظر: أساليب البديع في نهج البلاغة (دراسة في الوظائف الدلالية والجمالية) : ٦٧-٦٨.

([1]) ينظر: المنهاج الواضح للبلاغة:١/١٧٩.

([2]) ينظر: السور القصار(دراسة بلاغية):١١٩.

([3]) المسد:١-٣.

{ لهب } الثاني الجناس التام))([1])، وبهذا قد حصل التناسق بين الجرس الموسيقي، وحركة العمل الصوتية ، وتناسق الصور في جزئياتها المتناسبة ، فضلًا عن مراعاة التناسق بين الجناس اللفظي والنظير في التعبير ([2])؛ ليبين حقيقة العذاب النفسي المتمثل بالسخرية من أبي لهب والعذاب الجسدي المتمثل بعاقبته المختومة بالنار الملتهبة.

وغير ذلك فقد ورد الجناس في سور مختلفة ، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴾([3])،فقد جاءت البلاغة القرآنية هنا على قدر عالٍ من الدقة والفصاحة في ملائمة الألفاظ فيما بينها (تنهر) و(تقهر) الجناس الناقص ، فلكلٍ دلالته الخاصة ولا يمكن عكسهما في الموضع ؛ وذلك لأن اليتيم يُقهر عندما تؤخذ منه أمواله بالغصب والاستيلاء ، وأما السائل فهو يسأل الناس أن يعطوه مما رزقهم الله وعدم إعطائهم إياه يُعدُّ نهرًا له ، وهذا ما نهى عنه الباري عزّوجل. كذلك فإنّ في تقديم (اليتيم) و(السائل) غاية عظيمة مفادها الاهتمام بهم ((فاجتلاب (أما) في الكلام أثر للاهتمام وهو يقتضي أن مثار الاهتمام بعض متعلّقات الجملة ، فذلك هو الذي يعتنون بتقديمه وكذلك القول في تقديم{ السائل } وتقديم { بنعمة ربك } على فعليهما))([4]) ، فالخطاب الإلهي وإن كان موجهًا للنبي محمد (صلى الله عليه وآله) بشكل خاص فإنُّه يشمل أمته بشكل عام ؛لأن ما يفرض على النبي يفرض على الأمة ولا بدّ من الالتزام به، وقد تكامل الخطاب القرآني هنا بتكامل اللفظ والمعنى فلا يعمل أحدهما بمعزل عن الآخر ليتشكل بذلك هالة إقناعيه تشير إلى أن الجناس لا يتم بالشكل فقط بل تتكامل أجزاؤه بنصرة المعنى حتى يكون مستحسنًا .

([1]) التحرير والتنوير:٣٠/٦٠٥.

([2]) ينظر: مشاهد القيامة في القرآن. :٦٦.

([3]) الضحى:٩-١٠.

([4]) التحرير والتنوير :٣٠/٤٠١.

ومن مواضع الجناس الأخرى في السور القرآنية القصار التي حصل فيها التقديم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ۝٧ ﴾(١) ، فقد تقدم خبر إنّ شبه الجملة على اسمها وجاء الجناس هنا غير تام (ناقص) بين لفظتي (اليسر) و (العسر) ، فقد تكرر حرف السين لأكثر من مرة فـ((هو صوت مهموس منخفض له دلالته فهو يوحي بظله بأنّ الحديث في حضرة الرسول (صلى الله عليه وآله) يجب أن يكون منخفضًا ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢ ﴾[سورة الحجرات/٢] ولا سيما أنَّ الآيتين في سورة خالصة للرسول (صلى الله عليه وآله)، فالموسيقا الناتجة من تكرار حروف الكلمة نفسها له اثره في تشكيل الصورة وإلصاق المعنى في ذهن المتلقي أطول فترة ممكنة))(٢). وبهذا فقد أدى الجناس وظيفته الإقناعية فعمل على استمالة المتلقي بما أضفاه على النص من لمسة موسيقية ، وبما تركه من دلالة نفسية تطمئن القلوب بتحقق اليُسر حتى في ساعة الضيق والشدة عن طريق استعمال الحرف (مع) الذي يدل على المصاحبة.

وهناك مثال آخر على الجناس غير التام يظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ۝١ ﴾(٣)، تعد حالة (الهمز واللمز) من الصفات العدوانية الغالبة على بعض البشر، وما إن تأتي إحداهما حتى تكون الأخرى مجاورة لها في السياق، وكذلك تجانسهما باللفظ ، فـ((الهمز يتناول التعبير اللفظي: أي استعمال الكلمة ، بينما يتناول اللمز: التعبير الحركي بالغيب وبالرأس ونحوهما،... أنّ النص القرآني الكريم لا يستخدم المترادف من الألفاظ في مقطع متجاوز، ولأنّه يعني بإحكام المبنى الهندسي للنص، بحيث ينتخب ما هو

(١) الشرح:٥-٦.

(٢) السور القصار في القرآن الكريم (دراسة بلاغية):١٢١.

(٣) الهمزة:١.

(متجانس) من الموضوعات حتى يُحكم بناء النص))([1]) وعمل هذا على تحقيق الانسجام الصوتي بين اللفظتين، وتقارب المعاني فيما بينها فرسم لنا النص القرآني صورة مفعمة بالتناسق الموسيقي، والتناسب المعنوي مع تحقيق الغاية الإقناعية عن طريق تحريك الأسماع موسيقيًا ، وإشغال الذهن بالتفكير في هذه الصفات المنتبذة أخلاقيًا ودينيًا، و في الجزاء الذي يعاقب به الشخص المتصف بها بدليل قوله تعالى:﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥ ﴾([2]).

وقد تعددت أمثلة الجناس الاشتقاقي في السور القصار ومنها قوله تعالى: ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ۝٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ۝٢٦ ﴾([3])، فقد تمثل هذا النوع من الاشتقاق بين (يُعذّب عذابه) و (يوثق وثاقه) ليرسم للمتلقي صورة العذاب الذي يلاقيه الشخص الذي يكون عذابه ووثاقه ليس كأي عذاب ولا أي وثاق و((كلّ ذلك بما كسبت يداه حينما أوثق المظلومين في الدنيا بأشدّ الوثاق، ومارس معهم التعذيب بكلّ وحشية، متجرد عن كلّ ما وهبه اللّه من إنسانية))([4]) ، فقد تضمن هذا الجناس موسيقى صاخبة ذات أثر بيِّن في نفس المتلقي لدرجة جعله يقارن بين حالين مختلفين من مشاهد يوم القيامة جاء الأول متمثلًا بالعذاب والثاني في قوله تعالى :﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ۝٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ۝٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ۝٣٠ ﴾([5]) فيظهر الاختلاف جليًا في طبيعة الموسيقا الواردة في النصين ، فالأخير جاءت فيه ((الموسيقا حول المشهد مطمئنة متموجة رخية ، في مقابل تلك الموسيقى الشديدة العسكرية. فالمقابلة هنا بين حالة وحالة، وبين موسيقا وموسيقا. والإيقاع دائمًا في القرآن وسيلة من وسائل التصوير ، يتسق

([1]) التفسير البنائي للقرآن الكريم: ٤٠٦-٤٠٧.

([2]) الهمزة:٤-٥.

([3]) الفجر:٢٥-٢٦.

([4]) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل :٢٥٥/٢٩.

([5]) الفجر:٢٧-٣٠.

مع جو المشهد ويوحي به للضمير))[١]، ليجد _ المتلقي _ نفسه محاطًا بهالة حجاجية تدعوه للتسليم بما يريده الله من قبل أن يأتي يوم يقول فيه :﴿ **يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي**﴾[٢]؛ بسبب ما قامت به الموسيقا من رسم مشهد متكامل الأحداث، الأول شديد لتمثله بالعقاب ، والآخر سهل يسير لتمثله بالثواب وشتان ما بين الحالين.

وفي موضع آخر تمثل هذا النوع من الجناس في قوله تعالى:﴿ **قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ۝٦** ﴾[٣] ، فقد تمثلت موسيقية الجناس الاشتقاقي بين (أعبد) و(تعبدون) لاشتقاقهم من أصل واحد ، فقوله :(**لا أعبد ما تعبدون**) تُعد ((مسألة مبدئية لا تقبل المساومة والمهادنة والمداهنة. (ولا أنتم عابدون ما أعبد) لما تأصّل فيكم من لجاج وعناد وتقليد أعمى لأباءكم، ولما تجدونه في الدعوة من تهديد لمصالحكم وللأموال التي تدر عليكم من عبدة الأصنام. ولمزيد من التأكيد وبث اليأس في قلوب الكافرين، ولبيان حقيقة الفصل الحاسم بين منهج الإسلام ومنهج الشرك قال سبحانه: **(ولا أنا عابد ما عبدتم، ولا أنتم عابدون ما أعبد)** فعلى هذا لا معنى لإصراركم على المصالحة والمهادنة معي حول مسألة عبادة الأوثان فإنّه أمر محال **(لكم دينكم ولي دين)**))[٤] ، فقد أضفى هذا الجناس تأثيرًا موسيقيا ودلاليًا في وقت واحد ، ولا يقتصر عمل اللفظة في موضع واحد فقد تنوعت مواضعها بصيغ متعددة ما بين (أعبد ، تعبدون ، عابدون ، عبدتُّم) ، وتبرز هذه الصيغ الاختلاف التام في العبادة والمعبود ، فالنبي (صلى الله عليه واله) يعبد الله الواحد ، وهم على عبادة الشرك ، فطبيعة العبادة

---

(١) مشاهد يوم القيامة:٧٢.

(٢) الفجر:٢٤.

(٣) الكافرون :١-٦.

(٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٤٤٦/٣٠.

مختلفة والاعتقاد بالمعبود مغاير بينهما ، وكذلك شؤون الحياة وأمورها تختلف تبعًا لما يعبدونه ، فلا احتمال للمهادنة وتغيير الدين بحسب أهواء المشركين؛ لأنَّ العقيدة الربانية هي العقيدة الأصح والأسلم لمعتنقيها وكفى فخرًا الاعتزاز بها.

المبحث الرابع: المقابلة القرآنية

لقد عنى البلاغيون بفن المقابلة عناية كبيرة ، وكان كلٌّ منهم ينظر إليه من زاوية مغايرة لما يراها الآخر ، مما أدى إلى تعدد تسمياته فعرف بـ(("مجاورة الأضداد"، و"الطباق"، "المطابقة"، و"التكافؤ"، و"المطابق"، و"المتضاد من معاني الألفاظ"، و"التطبيق"، و"البديع"، و"المقابلة"، و"التضاد"))[١]. و هناك من فرّق بين لفظ (الطباق) و(التقابل) من جهة الكم، إذ إنّ الطباق يقتصر على التقابل أو التضاد بين لفظتين ، أما إذا زاد على لفظين فهو من جنس التقابل[٢] متضادين أو غير متضادين، وبشكل عام يعرف الطباق على أنه: الجمع بين مفردتين متضادتين في اللفظ والمعنى، بينما تتجاوز المقابلة ذلك لتستعمل أكثر من مفردتين متضادتين في الجملة الواحدة.

فالتقابل يعزز الحجاج عن طريق بيان وجه الصلة العميقة بين المتقابلين ضديًّا[٣] والغاية الحجاجية من إيرادهما لكسب المتلقي بالاعتماد على الخطاب ، فـ((إذا لم ينتج عن الخطاب استمالة المخاطب، فان المحسن سيتم إدراكه بعدّه زخرفة؛ أي باعتباره محسن أسلوب))[٤] ، وما يهمنا هو إبراز العملية الإقناعية له في السور القرآنية القصار سواء أكان حقيقًيا أم مجازيًا ؛ لأنه يترتب على ذلك تحديد المفاهيم الدقيقة التي تندرج تحت مفهومه .

والأهم هنا هو استخراج الكلمات المتضادة وبيان العملية التي يقوم بتأديتها النقيضان. فالتقابل يحيل إلى خلق بؤرة للمتلقي؛ لخلق آفاق جديدة تمكنه من فهم جديد[٥] للأحداث. وقد تعددت الآيات المشتملة على التقابل، وأغلب مواضعه في السور القرآنية القصار تتحدث عن النظام الكوني متمثلًا بإبداع الخالق في صنعه وهذا له أثره في استقطاب المتلقي كما

---

(١) الطباق في القرآن الكريم (دراسة بلاغية):٢.

(٢) ينظر: بديع القرآن:٥٦.

(٣) ينظر: أسلوبية الحجاج التداولي (تنظير وتطبيق على السور المكية) :١٩٥-١٩٦.

(٤) التداولية والحجاج:٥١.

(٥) ينظر: أسلوبية الحجاج التداولي : ١٩٦.

في قوله تعالى:﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ۝١٠ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ۝١١﴾(١)، جاء التقابل متمثلًا بلفظتي (الليل) و(النهار) تعبيرًا عن ثنائية جميلة لا تفترق فهي متلازمة في نصفين من اليوم نصف لليل ونصف للنهار. فقد جعل الله سبحانه وتعالى الليل ساترًا للإنسان ووقت لراحته وسكونه ، وجعل النهار وقت نشاطه وحركته لطلب الرزق لتكتمل دورة حياة الليل والنهار كما هو معد لها يوميًا ، وأي اختلال في نظامهما سيؤدي إلى اختلال في حياة البشر الذين اعتادوا على نظام معجز تسير عليه حياتهم مخطط له من لدن عزيز حكيم. فقد اعتمد النص على آليات عديدة عملت على إكساب النص رونقه وتأثيره الخاص، فاستعمال الفعل (جعل) هنا قد ((مد النص ببعد تأثيري باتصاله بضمير التعظيم (نا) ولا سيّما أن هذا الفعل من أفعال التصيير والتحويل ، فمرجعية الليل والنهار مردها إلى الله تعالى وتقديره الحكيم الذي صنف اليوم إلى ثنائية تقابلية الأولى يرتاح فيها الإنسان ، والثانية يتعب فيها لطلب معاشه وقوت يومه))(٢)، فالباري عزّوجل عظيم في صنعه فقد وازن موازنة محكمة بين مقادير الأمور المتعلقة بحياة الإنسان وعوضه من بعد تعب النهار المزدحم بالمشاغل براحة الليل الهادئ.

وقد ورد التقابل أيضًا مبينًا لحال فريقين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾(٣)

فالتقابل البديعي متمثلًا بالجملتين (هم شر البرية) و(هم خير البرية) لوصف حال فريقين (الذين كفروا) و(الذين آمنوا) فهو يظهر التباين بينهما في الدنيا و الآخرة فـ((عبارة (أولئك هم شرّ البريّة) عبارة قارعة مثيرة، تعني أنّه لا يوجد بين الأحياء وغير الأحياء

(١) النبأ:١٠-١١.

(٢) أسلوبية الحجاج التداولي: ٢٠٠.

(٣) البينة:٦-٨.

موجود أضل وأسوأ من الذين تركوا الطريق المستقيم بعد وضوح الحق وإتمام الحجّة، وساروا في طريق الضلال، مثل هذا المعنى ورد أيضًا في قوله تعالى:﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[الأنفال:٢٢]))(١) فكان مصيرهم نار جهنم مخلدين فيها، وعلى النقيض منهم خير البرية الذين آمنوا وعملوا الصالحات فجزاؤهم جزاءان : جزاء (معنوي) متمثل برضا الله عنهم، وآخر (مادي) إذ إنّهم يُرزقون جنات عدن خالدين فيها ، ذلك جزاء (لمن خشي ربه).

والملاحظ تعدد أمثلة التقابل التي تصف حال الناس في الدنيا الآخرة كما في قوله تعالى:﴿ فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾(٢) فنرى أنّه من سَيَذَّكَّرُ ((فيقبل التذكرة وينتفع بها { مَن يخشى } الله وسوء العاقبة ، فينظر ويفكر حتى يقوده النظر إلى اتباع الحق : فأمّا هؤلاء فغير خاشين ولا ناظرين ، فلا تأمل أن يقبلوا منك { وَيَتَجَنَّبُهَا } ويتجنب الذكرى ويتحاماها { الأشقى } الكافر؛ لأنه أشقى من الفاسق. أو الذي هو أشقى الكفرة لتوغله في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقيل : نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة { النار الكبرى } السفلى من أطباق النار وقيل { الكبرى } نار جهنم. والصغرى نار الدنيا))(٣).

تمثلت المقابلة بين حال من يخشى الله وينتفع بالذكرى ، وبين الأشقى الذي يتجنبها فيصلى النار الكبرى وتستمر المقابلة وصولًا للفعلين (يموت) و (يحيى) اللذين يعبران عن حال المعذب في نار جهنم فهو ((لا يموت في النار فيتخلص من العذاب، ولا يحيى حياة

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل:٣٠/٣٦١.
(٢) الأعلى:١٣.
(٣) الكشاف: ٧/٢٧٧.

له فيها لذة، بل هو في ألوان العذاب وفنون العقاب. وقيل: لا يجد روح الحياة))[١] ، وكان للأداة (ثم) أثرٌ في إيضاح حال المعذب، وكأن العذاب يحصل عليه على شكل مراتب ، والعذاب المتمثل بعدم الموت أو الحياة أشد من عذاب الصلي بالنار ؛ لأنَّ روحه لا تخرج فيموت ولا تعود لموضعها فيحيا وقد أشير إلى ذلك في التفاسير منها ما قيل عن (ثم) بأنها: ((للتراخي بحسب رتبة الكلام، و المراد من نفي الموت و الحياة عنه معا نفي النجاة نفيا مؤبدا فإن النجاة بمعنى انقطاع العذاب بأحد أمرين إما بالموت حتى ينقطع عنه العذاب بانقطاع وجوده و إما يتبدل صفة الحياة من الشقاء إلى السعادة و من العذاب إلى الراحة فالمراد بالحياة في الآية الحياة الطيبة على حد قولهم في الحرض: لا حي فيرجى و لا ميت فينسى))[٢].

وتتوالى الآيات التي تصف حال المقبل على الله وحال المدبر عنه كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾[٣] ، تشير هذه الآيات المباركة إلى مجموعتين من الناس الأولى (من أعطى واتقى ، وصدّق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى) مقابل (من بخل واستغنى ، وكذّب بالحسنى ، فسنيسره للعسرى) ، فأشار بعض المفسرين إلى أن الفعل (أعطى) يشير إلى العبادات المالية ، و(اتقى) إشارة إلى سائر العبادات العملية الأخرى من أداء الواجبات وترك المحرمات، وأما (الحسنى) فهي إشارة إلى الجزاء الإلهي الأوفى، والتصديق الإيمان بها، ويتمثل الجزاء بفتح أبواب التوفيق للأفراد المحسنين[٤] لقوله: (فسنيسره لليسرى) ، يقابل ذلك من بخل ، واستغنى عن ثواب الآخرة ، ولم يصدق بالمثوبة الإلهية فسيواجه الضيق وتكالب المشاكل والمحن الدنيوية على رأسه

---

(١) التبيان في تفسير القرآن: ٣٢١/١٠.

(٢) الميزان في تفسير القرآن : ٢٦٩/٢٠.

(٣) الليل: ٥-١٠.

(٤) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢٩٣/٣٠-٢٩٤.

لقوله تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ كنتيجة طبيعية للمنع والاستغناء والتكذيب ، فجاءت المقابلة متعددة الأطراف والقضايا فاشترطت لكل شيء ضده ، فهي مقابلة في غاية الدقة والمتانة ؛ لما أوردته من توازنٍ فعلي بين العبارتين فزادتهما تألُّقًا وبهاء.

وبشكل عام فللمقابلة أثرها في تحقيق العملية الحجاجية عن طريق بيان وجه الصلة العميقة بين المتقابلين ضديًا، والغاية الحجاجية من إيرادهما لكسب المتلقي بالاعتماد على الخطاب القرآني المتنوع الأهداف منها ما يتعلق بموازنة الباري المحكمة بين مقادير الأمور المتعلقة بحياة الإنسان وتعويضه في الحياة الدنيا ، وبين بيان حاله في الآخرة إن كان ممن له الحظوة عند الله بسبب عمله الصالح وإقباله على الباري بكل ما يملك ، أم كونه من الخاسرين الذين اشتروا بآيات الله ثمنًا قليلًا إرضاءً لأنفسهم وإدبارًا عن بارئهم.

الفصل الثاني: الحجاج اللغوي في السور القصار

- توطئة.
- المبحث الأول : العوامل الحجاجية.
- المبحث الثاني : الروابط الحجاجية.
- المبحث الثالث : السلالم الحجاجية.

توطئة :

تُعدُّ اللغة من أهم وسائل المحافظة على عملية التواصل بين البشر، فهي عبارة عن مجموعة رموز تؤدي وظائف متعددة ، منها وظيفة التواصل ، ولا تقف عند هذه الوظيفة فهي بصورة عامة تحمل بين طياتها طاقة حجاجية مفادها التأثير ، وهي بهذا لا تقتصر على الفكرة القائلة بأن وظيفة اللغة الأساسية التواصل والإخبار فقط ؛ بسبب المؤشرات التي تدل على طبيعة اللغة الحجاجية التأثيرية. فنظرية الحجاج في اللغة منبثقة من نظرية الأفعال اللغوية التي وضع أسسها (أوستين وسيرل) ، وعَمِل بعد ذلك ديكرو على تطوير أفكار وآراء أوستين[١]. فقد عَمِلَ ديكرو مع زميله أنسكومبر على إثبات تجذر مفهوم الحجاج في اللغة وتغلغله فيها[٢] ، عن طريق الاعتماد على آلية الخطاب اللغوي بوصفه ((ليس فقط وسيلة بل هو غاية أيضًا فهو وسيلة إخبارية تكمن غايتها في التأثير ... وهذه العملية التأثيرية هي التي تدعى الحجاج بالنسبة لنا))[٣] ، فالباث ينتج عنه قول واحد أو مجموعة أقوال ينتج عنها في المقابل قول ثانٍ أو مجموعة أقوال أيضًا ، هدفه منها التأثير في المتلقي وحمله على فهم الخطاب والاقتناع به، وهذه ليست بالعملية الهينة مالم تعتمد على آليات الحجاج اللغوي المتمثلة بـ (الروابط والعوامل الحجاجية ، والمبادئ الحجاجية ، والسلم الحجاجي وقوانينه ، وغيرها). فاللغة بذلك تضع ضابطة تعمل على ترتيب الأقوال ضمن نسق لغوي له غاية محددة ضمن نص واحد، أو متعدد الاحتمالات ضمن النصوص المفتوحة. وبهذا فأنَّ ((ترابط الأقوال لا يستند إلى قواعد الاستدلال المنطقي وإنما هو ترابط حجاجي؛ لأنه مسجل في أبنية اللغة بصفته علاقات توجّه القول وجهة دون أخرى وتفرض ربطه بقول آخر، فموضوع الحجاج في اللغة هو بيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية

---

(١) ينظر: نظرية الحجاج اللغوي عند أوزفالد ديكرو وأنسكومبر:١٩٤.

(٢) ينظر: المصدر نفسه :١٩٦.

(٣) ينظر: المصدر نفسه : ١٩٦.

تمثّل مكونًا أساسيًا لا ينفصل عن معناه يجعل المتكلم في اللحظة التي يتكلم فيها يوجّه قوله وجهة حجاجية ما))[١].

وقد وضع علماء اللغة تقسيمات عدة لوظائف اللغة منها تقسيم العالم النمساوي كارل بوبر (ت١٩٩٤م)[٢].

١- الوظيفة التعبيرية ؛ لتعبير الشخص عن حالاته الداخلية.

٢- الوظيفة الإشارية؛ لتبليغ الآخرين بالمعلومات المتعلقة بهذه الحالات الداخلية.

٣- الوظيفة الوصفية؛ لوصف وقائع العالم الخارجي.

٤- الوظيفة الحجاجية؛ لتقديم الحجج وتسويغها.

وبهذا يعد العالم بوبر من الذين نبهوا على الوظيفة الحجاجية للغة ، وبشكل عام فإنَّ أهم الأسس التي ارتكز عليها الحجاج اللغوي هي استبدال الفكرة الشائعة المتعلقة بالوظيفة الأساسية للغة، فقد كان الاعتقاد السائد يوضح أن الوظيفة الإخبارية هي الوظيفة الأساسية لها؛ وذلك بسبب تأثير النزعة المنطقية ومن بعدها التقاليد السوسيرية التي تابعت في هذا الأمر، فهم ينظرون إلى اللغة على أنها علامات تُوَظّف؛ لتمكين المتلقي من الحصول على صورة تخيلية يدرك عن طريقها المعلومات التي لم يحصل عليها بشكل مباشر[٣]، لكن لو نظرنا من زاوية أخرى نرى أن الوظيفة الحجاجية أكثر شمولية ؛ لأنها تتضمن في الوقت نفسه وظيفة الإخبار والتواصل فـ((كون اللغة لها وظيفة حجاجية يعني أن التسلسلات الخطابية محددة ، لا بوساطة الوقائع (les fait) المعبر عنها داخل الأقوال فقط ، ولكنها محددة أيضًا و أساسا بوساطة بين الأقوال نفسها، وبوساطة المواد اللغوية التي تمَّ توظيفها وتشغيلها))[٤].

---

(١) نظرية الحجاج في اللغة :٣٥٢.

(٢) ينظر: استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) : ١٤.

(٣) ينظر: الوظيفة الحجاجية في القصص القرآني: ١٢.

(٤) اللغة والحجاج:١٦-١٧.

المبحث الأول: العوامل الحجاجية.

تُعد العوامل الحجاجية من أهم الوسائل التي يلجأ إليها المتكلم لتقوية خطابه، وجعله ذا وقع في نفوس متلقيه، فهي إحدى المورفيمات والمكونات اللغوية التي تحقق الوظيفة الحجاجية للغة. ولا سيما أنها: ((عناصر لغوية تنتظمها غاية واحدة. وهي تحقيق الخطاب للإقناع في عملية التواصل))([1]) ، فالعامل هو: ((وحدة لغوية إذا تم إعمالها في ملفوظ معين فإن ذلك يؤدي إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ، والتحول الذي يحدثه العامل الحجاجي في المحتوى الدلالي للملفوظ الذي يرد فيه لا يكون مستمدًا من القيم الخبرية التي يضيفها هذا العامل، وإنما يستمد من وظيفته التحويلية الحجاجية الخالصة، فهو لا يضيف مضمونًا خبريًا جديدًا، وإنما غاية ما يحدثه هو شحن وتحويل المضمون الخبري القائم؛ ليؤدي وظيفة تتلاءم مع الاستراتيجية الحجاجية للمتلفظ))([2]).

وغالبًا ما يتم الخلط بين مصطلحي العوامل الحجاجية والروابط الحجاجية ، ولكن علماء الحجاج وضعوا لها جملة من الثوابت للتفريق بينهما ، ومنها أن الأولى ترتبط بإيضاح وحدتين دلاليتين داخل الفعل اللغوي ، أما الثانية فتربط بين فعلين لغويين ([3])، نحو قولنا: نجح محمد وعلي لكن زيد لم ينجح ، فكل قول وارد له أثر واضح يؤديه ضمن الاستراتيجية الحجاجية المعدّة، بينما العامل عمله داخل الجملة معتمدًا على أساليب عدة منها: أسلوب الحصر أو النفي أو الاستثناء ، نحو قولنا: ما جاء أحد من الطلبة إلا محمد.

وبعض الدراسات التداولية تذهب إلى أن العوامل تدخل على قضية واحدة ، أما الروابط فتدخل على أكثر من قضية.

وللعامل ثلاث وظائف هي ([4]):

([1]) العوامل الحجاجية في اللغة العربية: ٢١.

([2]) العوامل الحجاجية في شعر البردوني (النفي انموذجًا): ٤٢٣/١.

([3]) ينظر: العوامل الحجاجية في آيات الأحكام : ١٢.

([4]) ينظر: العوامل الحجاجية في اللغة العربية:٣٥.

١- القضاء على تعدد الاستلزامات والنتائج ، وذلك عن طريق نقل المتقبل من التعدد والغموض إلى وحدة النتيجة والمقصد من الملفوظ، بتقييد الإمكانات الحجاجية للخطاب.

٢- قدح المواضع وتنشيطها، فالموضع يعد العمدة في ارتباط المعطى بالنتيجة؛ لضمان عملية تسلسل الخطاب.

٣- يقوم العامل الحجاجي بعملية تقوية التوجه نحو النتيجة.

وفي ضوء ما تقدم يمكننا القول بأن العوامل الحجاجية تُعد ((عنصرًا مساعدًا لإظهار المنحى الحجاجي في اللغة، وأداة لتحقيق جل وظائفها))([١]) فهي تعمل على إبراز النتيجة الحجاجية بصورة واضحة لا يحتاج معها تعدد الاستلزامات التي تعمل على تقييد إمكانات فهم المتلقي.

ونظرًا لأهمية العوامل الحجاجية في إيضاح مقاصد الخطاب وغاياته، فقد اتجهت الدراسات الحديثة إلى إبراز أثرها في عملية إقناع المتلقي وجذب انتباهه ([٢]) ، ويتجلى أثر العوامل الحجاجية لإبراز عملية الإقناع و التحاجج عن طريق ورودها في السور القرآنية القصار متمثلة بعوامل عدة منها: (النفي ، والاستثناء بـ(إلا)، والقصر بـ(إنما)). فغالبًا ما تستعمل هذه العوامل الحجاجية ؛ من أجل توجيه القول إلى وجهة واحدة ، لتقوية اعتقاد المتحدث واثباته، وهذا ما يساعد المرسل على استثمار محاولات عديدة ؛ للدفاع عن قضية معينة يريد اقناع المتلقي بها([٣])، ومن أهم العوامل التي وردت في السور القرآنية القصار.

١- عاملية النفي:

تعد أدوات النفي في العربية من الأدوات التي استعملها النحاة والبلاغيون في علومهم، ولا يهمنا هنا ذكر التعريفات التي أوردوها بشأن النفي بقدر ما يهمنا ايضاح النفي كعامل حجاجي يساعد المتكلم على أداء وظيفة اللغة الحجاجية التي يهدف باستعمالها الى إقناع المتلقي بالنتيجة المعطاة في سياق الخطاب .

([١]) العوامل الحجاجية في اللغة العربية:١٦.

([٢]) العوامل الحجاجية في شعر البردوني (النفي أنموذجًا):٤٢٤.

([٣]) ينظر: إستراتيجيات الخطاب: ٥١٩-٥٢٠.

ونجد ديكرو في معرض حديثه عن النفي يركز على المفهوم ، والمفهوم هو (لماذا قال المتكلم ما قال؟)؛ ليحدد عن طريقه التوجه الحجاجي للملفوظ ([1])، ويعد النفي: ((توجيه على توجيه لذلك بمجرد إدماج عامل النفي تتحدد النتيجة(ن) بسرعة ولا يجد المتقبل حرج أو كدّ ذهني في إدراك المفهوم ، بل إن عامل النفي كمفهوم علاوة على وظيفته التوجيهية في الخطاب الحجاجي فإنّ له قيمة وهي على حدّ عبارة ديكرو ((أنه ضروري لوصف البنية (الدلالة العميقة) للملفوظ الذي يبدو غير منفي))([2]) ، ونلاحظ في بعض الأحيان أن النفي لا يراد به التكذيب ؛ فليس بالضرورة أن يكون ردًا على رأي صاغه المتلقي صياغة إثباتية([3])، وقد وضح الزركشي هذا النفي بقوله:((إن من النفي نفي الشيء مقيدًا والمراد نفيه مطلقًا، وهذا من أساليب العرب يقصدون به المبالغة في النفي، مثال ذلك قولهم: (فلان لا يرجى خيره)، ليس المراد أنّ فيه خيرًا لا يرجى، غرضهم أنّه لا خير فيه على وجه من الوجوه، غير أنّ النفي قد ينشأ عنه مفهوم مخالفة في غير سياق الإكذاب والتكذيب أو الرد على الخصم وتبكيته ، وإنّما يكون ذلك المفهوم الذي تؤدي إليه بنية النفي من قبيل الأحكام المستفادة على وجه الاستلزام من الكلام المنفي المقيّد بصفة أو ما في معناها فقط))([4]).

وتعد أدوات النفي في العربية (لم، ولا، ولن، وما، وليس) من العوامل الحجاجية التي يصدق عليها قول ديكرو: في كونها تعمل على توجيه القول والمتلقي في وقت واحد؛ فمن خلالها يحقق المتكلم وظيفة اللغة الحجاجية التي تتمثل في التمكن من كسب إذعان المتلقي وايصاله للنتيجة بالاعتماد على ملفوظات عدة([5]).

([1])ينظر: العوامل الحجاجية في آيات الأحكام:١٤.

([2]) العوامل الحجاجية في اللغة العربية:٥٠-٥١.

([3])ينظر: العوامل الحجاجية في آيات الأحكام:١٤.

([4]) البرهان في علوم القرآن :٣٩٦/٣، وينظر: العوامل الحجاجية في اللغة العربية:٥٢.

([5]) ينظر: العوامل الحجاجية في شعر البردوني_ النفي أنموذجا:٤٢٥.

فلعاملية النفي أثر كبير في آيات السور القصار منها ما يخص استعمال أداة النفي (لم) التي تفيد قلب زمن المضارع إلى الماضي، ونجد المنفي معها يرد بحالات عدة منها ([1]):

١- أن يكون منقطعًا، كما في قوله تعالى:﴿ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ ﴾([2]).

٢- وقد يكون متصلًا بالحال، ونجد ذلك في قوله تعالى:﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ ﴾([3]).

٣- وقد يكون المنفي مستمرًا ، كما في قوله تعالى:﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾([4]).

وقد وردت (لم) في آيات عديدة منها قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠ ﴾([5]) فقد جاء المنفي المنفي هنا متصلًا بالحال في قوله:(لم يتوبوا) وتدل هذه الآية على الفتنة التي يتعرض لها المؤمنون والمؤمنات في كل الأزمنة لاسيما أنها متعلقة بقصة أصحاب الأخدود ، ، ففي قوله تعالى:﴿ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ ﴾((إشارة إلى المستقبل، مع أنهم ماتوا قبل نزول القرآن بمئات من السنين، ولا معنى لصدور التوبة بعد موتهم. ومعه يتضح: أن الآية لا تختص بذلك المورد وتلك الواقعة، ولا يُراد ب(فتنوا) عملية الإحراق خاصة في تلك المرحلة الزمنية، إلَّا إذا أُريد بالإحراق افتتان المؤمنين بأي نحو اتفق...، فتفيد الآية قاعدة عامة، ويكون المراد

([1]) ينظر: معاني النحو:٤/٨.

([2]) الإنسان:١.

([3])مريم:٤.

([4]) الاخلاص:٣-٤.

([5]) البروج:١٠.

بحسب الاتجاه المشهور تلك الحوادث الحاصلة في الزمن الماضي. مع أن الفتنة ليست بمعنى الإحراق خاصة، بل هي المحنة والامتحان والاختبار، والإحراق معنى مجازي لو تمّ))([1]) ، فقد طرح العامل الحجاجي في سياق هذه الآية صورة فنية عمَّا يفعله الطغاة وما ينتظرهم من عذاب إذا لم يسارعوا إلى التوبة قبل أن يغلق بابها. ومحور الحديث _الذي ورد العامل (لم) في سياقه_ هو (عدم التوبة) فقد أضفى قوة تأثيرية في نفس المتلقي بتصور نتيجة هذا الأمر وهو عذاب الحريق، فالخطاب موجه هنا للبشرية جمعاء وفي الأزمنة كلها، ويترتب على هذا الأمر أن العذاب يشمل كل من فرّ من التوبة .

ويصدق هذا الأمر على ما عرضته سورة الفجر من قصص تتحدث عن أقوام وأفراد طغت وانحرفت عن أمر ربها، ولم تطرق باب التوبة وهم: (عاد، وثمود، وفرعون) ، ومنها قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٨﴾([2]) ، ويبدأ هذا العرض القصصي بأول قصة وهي قصة إرم ذات العماد التي بدأت باستفهام تقريري عن ما حلّ بهم ، ويهمنا مجيء العامل الحجاجي (لم) الذي أبرز وجود طاقة حجاجية في القول المنفي (لم يخلق) تبينّ لنا عظمة الجانب البنائي لهذه المدينة حتى أنه لم يخلق مثلها أنذاك.

ويروى أن صاحبها حدثته نفسه بأن يجعلها تشبه الجنة، عنادًا واستكبارًا على أمر الله، فلا صُنع للإنسان كصنع الله، ولكن ما أن أكمل بنائها حتى أبيدت بصيحة واحدة من السماء فأصبحت رميمًا هي وأهلها ([3]) . وتكمن حجاجية النفي في توجيه المتلقي إلى نتيجة واحدة مفادها تذكير المتلقي بما آل إليه مصير الطغاة والمنحرفين بالاعتماد على عنصري الترهيب، والترغيب وهذا بطبيعة الحال يدفعه إلى التفكير بالموقف الأخروي، الذي يتضمن عرض المشاهد الدنيوية ؛ لتتعمق في نفسه روح الإيمان الحقيقي والخوف من الله ، فإننا

([1])منة المنان في الدفاع عن القرآن:٣/٢٨٩.

([2]) الفجر:٦-٨.

([3]) ينظر: التفسير البنائي:٥/٣٣٥.

أمام تبيان للقوة والعظمة في بناء قوم عاد الذي لم يبنَ مثله ، فقد وصلوا في عملهم هذا إلى الذروة في المجد والقوة والاستكبار ، ولكن عظمة الله وقوته أزالته بصوت واحد ، فهذا يدعو الناس إلى التفكر في أنَّ من سبقهم كان أعظم قوة وأشد بأسا و أكثر عددًا ، ولكنه لم يحقق أمام عظمة الله شيئًا، فلِمَ العناد والتكبر على أوامر الله ؟. فالخطاب الإلهي لا يقف عند هذا، فهو يرمز أيضًا إلى ترغيب النفس الإنسانية بما موجود في الآخرة، وهو (الجنة)، وهذا يقتضي استجابة المتلقي والتزامه بالأوامر السماوية ؛ وجاء جواب ذلك بعد تسلسل الأحداث والقصص إلى نتيجة نهائية في آخر السورة في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ۝٣٠ ﴾(١) فجاءت هذه النتيجة تكريمًا للنفس، وهذا ما يُعرف بالجزاء الإيجابي للإيمان العميق بمبادئ الله والالتزام بها.

فالباري عزّ وجل هو الإله الواحد الأحد الذي لا إله أهلٌ للعبادة سواه ، فلا بدّ من توحيد الله وخشيته، ويظهر ذلك في قوله تعالى:﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾(٢)، تتألف هذه السورة المباركة من أربع آيات تتحدث كلها عن وحدانية الله وعظمته ، فقد نزلت هذه السورة في معرض حديث اليهود مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) كي ينسب لهم ربه ، ويروى أنه لم يجبهم فنزلت هذه السورة. ومفادها وحدانية الله وعدم وجود مثيل ولا شبيه له ،وهذا ما تثبته الأدلة العقلية والنقلية التي لا تقبل الإنكار والرفض، ومحور حديثنا هو مجيئ العامل الحجاجي في قوله: (لم يلد ولم يولد) و(لم يكن له كفوًا أحد) ليظهر معها النفي دالًا على الاستمرارية، فـ((إنّ التركيز على صفة (لم يلد ولم يولد) _في مقام التعريف لكلمة "الصمد"_ دون سواها، يعني

(١)الفجر:٢٧-٣٠.

(٢)الإخلاص:١-٤.

أنّ "الأزلية" أبرز ما تتمثل فيه ظاهرتي (لم يلد) و (لم يولد)... فإنّ (لم يلد) تعني: لا يصدر عنه شيء حادث ماديًا كان أو معنويًا، كما إنَّ (لم يولد) تعني: أنّه هو ذاته لم يصدر أيضًا عن شيء حادث... وهذا هو أشمل ما يمكن تصوره في ميدان التعريف بالأزلية))([1]) ، فالآية تتضمن نفيًا حجاجيًا مكررًا (لم يلد) و (لم يولد) و (لم يكن له كفوًا أحد)، وقد أبطل عامل النفي اعتقاد من يظن أن الله له ولد أو قد وُلِد أو أن هناك إله يشابهه و((جملة (ولم يولد) عطف على جملة (لم يلد)، أي ولم يلده غيره، وهي بمنزلة الاحتراس سدًا لتجويز أن يكون له والد، فأردف نفي الولد بنفي الوالد، وإنما قدم نفي الولد لأنه أهم إذ قد نَسب أهل الضلالة الولد إلى الله تعالى ولم ينسبوا إلى الله والدًا. وفيه الإيماء إلى أن من يكون مولودا مثل عيسى لا يكون إلها؛ لأنه لو كان الإله مولودًا لكان وجوده مسبوقًا بعدم لا محالة ... (ولم يكن له كفوا أحد) في معنى التذييل للجمل التي قبلها ؛لأنها أعم من مضمونها لأن تلك الصفات المتقدمة صريحها وكنايتها وضمنيَّها لا يشبهه فيها غيره))([2]) ، فمثل هذا النفي يحدث صدمة لدى المتلقي الذي يعبد آلهة عديدة مقارنة بإله لا يشبه آلهته الصماء _التي يصنعها بيده أو يعتقد بأنها تستجيب لنجواه_ في شيء. وبالتالي فإنَّ هذا العامل الحجاجي يدفعه إلى نتيجة نهائية مفادها ضرورة التخلي عن عبادته لتلك الآلهة والتوجه إلى عبادة الرب الواحد ، وإقناع الآخرين بصدق دعواه ودعوتهم لعبادته.

ولا يقتصر الأمر على مجيء (لم) في السور القصار ، فقد وردت أداة النفي (لا) و(لن) بكثرة ، من ذلك قوله تعالى في سورة الغاشية :﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ۝٣ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ ۝٤ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ۝٥ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ۝٦ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ۝٧ ﴾([3]).

([1]) التفسير البنائي:٤٥٨/٥.

([2]) التحرير والتنوير:٦١٨-٦١٩.

([3])الغاشية:١-٧.

تشير السورة الكريمة إلى اسم آخر ليوم القيامة وهو (الغاشية) التي ستغشى الجميع حوادثها الرهيبة، والواضح من ظاهر النص أن المقصود بها نار جهنم التي ستغشى وجوه الظالمين. ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل تصف أحوالهم وكيف بدت علامات الخسران والحسرة على وجوههم حتى أصبحت خاشعة، وما عملوا على جمعه في الدنيا من أموال وثروات لم تفدهم في الآخرة في شيء ؛ لأنهم دخلوا خالين الوفاض من أي أعمال صالحة تشفع لهم وتغير سوء عاقبتهم ، فنرى أنهم يصلون نارًا حامية ، ولشدة حرارتها فإنَّهم يصابون بالعطش فيسقون ماءً شديد الحرارة. والآيات وصفت لنا حتى أكلهم (لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيع لاَ يُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِى مِن جُوع) فالآية هنا تشير إلى وجود عوامل نفي مكررة (ليس، ولا) من أجل الإثبات الحقيقي لوصف هذا الطعام وكشف الحقيقة المؤلمة التي يتلقاها الظالمون ، فالضريع ((هو شجر من نار، ولو كانت في الدنيا لأحرقت الأرض وما عليها... وقال بعض آخر: هو طعام يضرعون عنده ويذلون، ويتضرعون منه إلى اللّه... فهو ليس لسد جوع أو تقوية بدن، وإنَّما هو طعام يغص به، ايغالاً في العذاب، (...) فالذين شرهوا في تناول ألذ المأكولات في دنياهم، على حساب ظلم النّاس والتجاوز على حقوقهم، ومنعوا لقمة العيش عن كثير من المحرومين، فليس في طعام آخرتهم سوى العذاب الأليم))([1]) ، فعوامل النفي المكررة الواردة في هذا السياق عملت على رسم ايقاع ايحائي؛ لإقناع المتلقي بضرورة الالتفات إلى أمر دينه ودنياه والتزود من خير الأعمال، وتوجيهه إلى تعميق حبّ الله في قلبه حتى لا تكتب له العاقبة المشينة نفسها.

وكثيرٌ ما تتكرر عوامل النفي من أجل إثبات النفي وتقويته، ولاسيما عندما يتعلق الأمر بالعقيدة ومحاولة اتباعها أو نفيها كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦ ﴾([2])، روي أنّ هذه السورة نزلت في نفر من

([1])الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢٢٤/٢٩-٢٢٥.

([2]) الكافرون:١-٦.

قريش طلبوا من النبي محمد(صلى الله عليه وآله) أن يتبع دينهم ويتبعوا دينه ، ويعبد آلهتهم ويعبدوا آلهته ، فإن وجدوا خيرًا في دينه تبعوه، واذا وجد خيرًا في دينهم تبعهم في ذلك ، فما كان جواب الرسول إلا الرفض والتعوذ من أن يشرك بعباده ربه أحدًا ،وقال لهم : بأنه سينتظر أمر ربه في ذلك فنزلت هذه السورة ([1]). ومما يثير الانتباه تكرار النفي بـ(لا) وتكرار قوله تعالى :(ولا أنتم عابدون ما أعبد) مرتين و(لا أعبد ما تعبدون) _ بالمعنى نفسه _ فلا بدّ من وجود حجة وراء ذلك.

وقد ذهب المفسرون إلى أن سبب التكرار هو التوكيد، فالسورة سياقها واحد وهدفها واحد، وهو بيان الانفصال التام واللانهائي بين الحق والباطل، ومنهم من ذهب إلى أن هذا ليس بتكرار محتجين بأن قوله تعالى:" لا أعبد ما تعبدون" يدل على المستقبل، وقوله تعالى:" ولا أنتم عابدون ما أعبد" يدل على الحال، وقوله تعالى: "و لا أنا عابد ما عبدتم" يراد به المستقبل والحال([2]).

وتذهب الباحثة مع الرأي بالتكرار، فالتكرار الصادر عن الذات الإلهية ليس مملًا و لا يرد إلا لغاية ، فهو ليس كالتكرار في الكلام العادي الذي تنفر منه الأسماع. ولا بدّ من أنه يرمز لغاية عظيمة أهمها التأكيد على التفريق بين معبود المؤمنين ومعبود الكافرين، والحث على الغاية الكبرى وهي وحدانية الله وعظمته، وهذه قضية تستحق التأكيد والتكرار بعوامل النفي الحجاجية أو بسواها ، فقد عَمِلت هذه العوامل على تنشيط عملية التفكير والتفكر لدى المتلقي بالخالق وما خلق، واختيار الطريق المستقيم للوصول إلى محطة الأمان والظفر برضا الرحمان ونعيم الجنان.

ومن الآيات التي وردت فيها أداة النفي (لن) قوله تعالى:﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ

([1])ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل:٣٠/٤٤٥-٤٤٦.

([2]) ينظر: منة المنان في الدفاع عن القرآن :١/١٩٠.

ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝١٥ ﴾(١). وقوله تعالى:﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ ﴾(٢).

فالآيات متعلقة بالحديث عن الإنسان وما يواجهه في الحياة الدنيا من مشقة وتعب ، وهو الذي سيحدد مصيره الأخروي عن طريق أعماله الدنيوية في الخير أو الشر. ونلاحظ وجود عامل حجاجي مشترك بين سورتي الانشقاق و البلد، وهو ورود عامل النفي (لن) في موضعين لهما الدلالة نفسها في ظاهر النص كما يظهر في قوله تعالى:﴿ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴾، وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾. وما يجذب الانتباه ورود فعل من أفعال (الظن والرجحان) في المواضع التي وردت فيها (لن)، وهما (ظن، وحسب)؛ للدلالة على مجرد ظن واعتقاد الكافر أنه لن يبعث ولن يحاسب بعد الموت ولا قدرة لله على ذلك. فـ(لن يحور) بمعنى لن يرجع، فلا بدّ من العودة إلى الله ، فمن أوتي كتابه بيمينه فهم المؤمنون المسرورون بحسابهم اليسير، فالناس يستبشرون خيرًا باليد اليمنى؛ لذلك يتم تسليمهم كتابهم في اليمنى ، وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فهم المشركون، وهم عكس الفريق الأول ؛ لأنهم يرجعون خائبين خاسرين يغشاهم الهلاك و الندم على ما عملوه ، وكذلك في النص الثاني (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) ، ولا يقصد بأحد أي شخص بل هو الله عزّ وجل ؛ لأن القدرة ملك الله وحده وما يثبت ذلك هو قوله: (أيحسب أن لم يره أحد) ، فلا أحد مطلع على ما تخفيه الصدور سوى الله سبحانه. وقد دلت (لن) في الآيتين على تأكيد النفي وتأييده، ولا يراد بهذا النفي حمل المتلقي على عدم الاعتقاد بأمر البعث والنشور ، بل لجعله يبحث عن الأسباب والأدلة التي دعت لمثل هذا النفي ؛ ليصل إلى

(١)الانشقاق: ٦-١٥.

(٢) البلد:١-٧.

نتيجة نهائية واحدة يُسلم بها، وهي ضرورة مراعاة وجود الله ومراقبته له واطلاعه الدائم على صحيفة أعماله.

٢- عاملية النفي والاستثناء بـ(إلا).

يشكل النفي مع الاستثناء بـ(إلا) عاملًا حجاجيًا مهمًا ؛ عن طريق قصر شيء على شيء آخر ضمن بنية النص، والفكرة المشتركة بين الباث والمتلقي تمثل المسار المؤدي إلى النتيجة([١])، فالاستثناء له علاقة وثيقة بأحوال المخاطب النفسية والاجتماعية ، فيعمل على تقرير المعنى في ذهن المتلقي وتثبيته والدعوة إليه ضمن نظام لغوي خاص، بالاعتماد على الأسلوب، والأداة المستعملة، والتقديم والتأخير بحسب السياق. وقد كان للاستثناء بـ(إلاّ) حضورٌ كبير في السور القرآنية القصار وما يميز هذا العامل ورود أداة الاستثناء غالبًا مسبوقة بإحدى أدوات النفي (ما، لا، لم، ليس) وهذا يعزز الفاعلية الحجاجية للنفي والاستثناء. فدخول مثل هذه الأدوات على الملفوظ من شأنها أن تخرجه من الوظيفة الإبلاغية (الوصف والإبلاغ) إلى الحجاجية التي توجه الخطاب نحو نتيجة معينة ([٢]) ، من ذلك قوله تعالى:﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ ([٣])، ورد تركيبان حجاجيان في هذه السورة هما: (لا يصلاها إلّا الأشقى)، و(وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلّا ابتغاء وجه ربّه الأعلى)، فالأول يشير إلى بلوغ النار ولزومها، وتنفي الآية عذاب النار عن المؤمنين، على أساس ما هو لازم القصر في الآية، فهي إنما تنفي عن غير الكافر الخلود فيها([٤])، فالنفي والاستثناء أشارا إلى أن هذا النوع من العذاب _وهو الصلي_ مختص بالأشقى من دون غيره واختص الاستثناء بجانب العقاب ، على خلاف الأتقى الذي يفوز بنعيم الجنة ولم يرد معه استثناء.

([١]) ينظر: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي: ١٠٨.

([٢]) ينظر: العوامل الحجاجية في اللغة العربية: ٦١.

([٣])الليل:١٤-٢١.

([٤]) ينظر: الميزان في تفسير القرآن:٢٠/٣٠٦.

أما التركيب الثاني الذي يخص الأتقى فيقال: إن المقصود هنا هو الإمام علي (عليه السلام) الذي عرف بإعطائه الصدقة، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝٥٥﴾(١)، ويصدق عليه لقب الأتقى (٢). فهو ينفق ماله في سبيل الله لا لأجل قضاء حاجة ترجى ، وشتان ما بين (الأشقى) و(الاتقى) في المقارنة والجزاء. فقد رسمت لنا العوامل الحجاجية صورتين لشخصين مختلفي الصفات والطبائع ، ولكل منهما طريقه الخاص ليتم الأمر بعد ذلك عند قوله:(وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١)، ((ثم ماذا؟ ماذا ينتظر هذا الأتقى ، الذي يؤتي ماله تطهراً ، وابتغاء وجه ربه الأعلى؟ إن الجزاء الذي يطالع القرآن به الأرواح المؤمنة هنا عجيب، ومفاجئ، وعلى غير المألوف، { ولسوف يرضى }، إنه الرضا ينسكب في قلب هذا الأتقى، إنه الرضا يغمر روحه، إنه الرضا يفيض على جوارحه، إنه الرضا يشيع في كيانه، إنه الرضا يندي حياته، ويا له من جزاء! ويا لها من نعمة كبرى!... إنه جزاء لا يمنحه إلا الله، وهو يسكبه في القلوب التي تخلص له، فلا ترى سواه أحداً))(٣) . وهذا جزاء لا يستحقه إلا من بذل نفسه وماله لابتغاء وجه ربه الأعلى.

وكان للعامل الحجاجي المركب من (ما...إلّا) حضورٌ فاعلٌ ، ظهر في مواضع عدة منها، قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾(٤)، فقد ورد هذا العامل الحجاجي مكررًا في سورة البينة وهذا بدوره يزيد شوق

(١) المائدة:٥٥.

(٢) ينظر: منة المنان في الدفاع عن القرآن: ١٤٣/٢.

(٣) في ظلال القرآن: ٥٤/٨.

(٤) البينة: ٤-٥.

المتلقي لمعرفة المغزى، وتتحدث عن حقيقة وجود الإيمان وتوحيد الباري عزّ وجل وحقيقة وجود الأديان التي تسبق الدين الإسلامي ، والمراد من البينة هو مجيء الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله) مكملًا للرسالة السماوية مشيرًا إلى صدق دعوة الأنبياء السابقين، نتيجة لذلك تفرق أهل الكتاب ؛ لأنهم وجدوا في ذلك ضربًا لمصالحهم الشخصية فقد ورد هذا العامل مكررًا في السورة ، _ وقيل إن هذه السورة تسلية لقلب الرسول حتى لا يحزن لتفرقهم_، ((أي فعند إتيان البينة يكونون منفكين عن كفرهم فكيف مع أن الله يقول : { وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة } فإن تفرقهم راجع إلى تفرقهم عن الإسلام وهو ازدياد في الكفر إذ به تكثر شبه الضلال التي تبعث على التفرق في دينهم مع اتفاقهم في أصل الكفر ، وهذا الأخير استنادًا إلى قوله تعالى : { وما تفرق الذين أوتوا الكتاب}... الخ كلاماً متصلاً بإعراضهم عن الإسلام وذلك الذي درج عليه المفسرون))([1])، ويستمر التقريع للمشركين وأصحاب الكتب ؛لاعتراضهم على الأمر الإلهي وما أمروا إلا ليعبدوا الله الواحد والإخلاص التام له بالقيام بالواجبات من صلاة وزكاة ، والجميل في هذا الخطاب استعمال لفظ حنفاء لا مسلمين ؛ للإشارة إلى وجود أشخاص كانوا يعبدون الله ويوحدونه عرفوا بالحنفاء ، والمشركون وأهل الكتاب يعلمون حقيقة هذا الأمر، فالنص القرآني يحاججهم بما يعرفونه حتى لا تتاح لهم فرصة الإنكار وتكذيب ما جاء به النبي الأكرم. فعمل العامل الحجاجي في هذا السياق على استقطاب المتلقي والتأثير فيه لدرجة أنه أصبح قادرًا على تمييز غاية المشركين وأهل الكتاب من التفرق والابتعاد وهو إثارة الفتنة ضد النبي محمد (صلى الله عليه وآله)؛ وإبعاد الناس عن الالتفاف حوله والإيمان بدعوته.

([1]) التحرير والتنوير:٣٠/٤٦٩.

٣- عاملية القصر بـ(إنّما):

تأتي إنما لـ((إثبات لما يذكر بعدها ونفي لما سواه))([١])، وكذلك تعمل على تأطير المقصور عليه وجوبًا فيها([٢]) ، والفرق بين العامل الحجاجي المتعلق بالنفي والاستثناء وإنما يختلف من جهة أنهم([٣]) ((لا يكونان سواء فليس كل كلام يصلح فيه (ما...إلا) يصلح فيه (إنما) ألا ترى أنها لا تصلح في مثل قوله تعالى:﴿ **وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ** ﴾[٤] وفي نحو قولنا (ما من أحد إلا وهو يقول) قلت ما لا يكون له معنى))([٥])، وبهذا يصبح العامل الحجاجي هذا مؤديًا لإثبات ما بعده عن طريق حصره وتقديمه ونفيه لما سواه، بتحويل الخطاب إلى بنية مقيدة بالإثبات مرتبطة به، تلقاء تفعيل النص حجاجيًا ، وسيطرته على مساحة كبيرة منه ، فما يثبته العامل الحجاجي يبطل غيره بالمقابل فنستطيع القول: إن علاقة (إنما) بالخطاب هي علاقة إثبات أكثر من كونها علاقة نفي ، لأنها تحمل بنية متعلقة بذات المتلقي للخطاب([٦]) ، وقد ورد العامل الحجاجي (إنما) في موضعين ، وعلى الرغم من قلة شواهده إلا أنَّ الباحثة ارتأت دراسته ؛ لأنه من ضمن العوامل الحجاجية التي لها فاعلية في الخطاب ، كما في قوله تعالى:﴿ **يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ۝١١ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ۝١٢ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ** ﴾([٧])

فهذه السورة بشكل عام رسمت صورًا فنية عديدة منها الحديث عن النفخة الأولى(الراجفة)

([١]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:١٦/ ٤٦٨.

([٢]) ينظر: دراسات بلاغية:١٨١.

([٣])ينظر: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي ص:٦٥.

([٤])آل عمران:٦٢.

([٥])دلائل الإعجاز: ٣٢٩.

([٦]) ينظر: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي:١١٤.

([٧])النازعات:٦-١٤.

التي يموت فيها الخلائق، والنفخة الثانية(الرادفة) التي يبعثون فيها ، ووصف حال الخلق بذكر حديثهم الدنيوي عندما أنكروا حقيقة البعث والنشور بقولهم: (أإنّا لمردودون في الحافرة، أإذا كنا عظاما نخرة، تلك إذًا كرة خاسرة)، بعد ذلك ينتقل المشهد إلى (فإنما هي زجرة واحدة، فإذا هم بالساهرة) ، فقد جاء العامل الحجاجي (إنما) معبرًا عن أن ((القصر حقيقي مراد منه تأكيد الخبر بتنزيل السامع منزلة من يعتقد أن زجرة واحدة غير كافية في إحيائهم))([1]) ، وتبلغ الصياغة الفنية هنا مشهد يحمل قمة الإثارة والإمتاع؛ لأنه يصور لنا حادثة الصيحة الثانية التي تعيد عرض الموقف الأخروي مرة أخرى، فمجموعة التنقلات من الدنيا إلى الآخرة ، مدهشة ومثيرة ([2]) للمتلقي ؛ لأنها ساعدته على رسم صورة كاملة التفاصيل في مخيلته، فضلًا عن التجانس الإيقاعي في مثل (الراجفة، والرادفة) و(الحافرة والساهرة) الذي جذب أسماعه، فساعد على إتمام عملية التخييل عنده، وفاعلية العامل الحجاجي (إنما) أكسب النص أبعادًا جميلة عن طريق التركيز على عرض مشهد الزجرة التي تحيي الخلق.

وقد عرض العامل الحجاجي (إنما) مشهدًا عن الآخرة ، في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾([3]) ، ، فلطالما كرر المشركون والمنكرون سؤالهم للنبي(صلى الله عليه وآله) عن يوم القيامة ، وأجابهم الباري بإنَّ علمها عنده وحده بقوله: (إلى ربك منتهاها)، ووظيفة الرسول هي دعوة الناس لتوحيد الله ، وإنذارهم من عقابه الأليم ، فالعامل الحجاجي (إنما) عمل على قصر وظيفة تبليغ الناس وإنذارهم بالنبي(صلى الله عليه وآله) ولا علم له بوقت قيام الساعة. ورفد

([1])التحرير والتنوير: ٧٢/٣٠.

([2]) ينظر: التفسير البياني: ٢٧٤.

([3])النازعات:٤٢-٤٦.

هذا العامل بعاملي النفي والاستثناء (لم...إلّا) في آخر السورة ، لبيان ((أنّ ما تبقى من الوقت لحلول الوعد الحق ليس إلاّ قليلاً: (كأنّهم يوم يرونها لم يلبثوا إلاّ عشيّة أو ضحاها). فعمر الدنيا وحياة البرزخ من السرعة في الإنقضاء ليكاد يعتقد الناس عند وقوع القيامة، بأنّ كلّ عمر الدنيا والبرزخ ما هو إلاّ سويعات معدودة! وليس ببعيد... لأنّ عمر الدنيا قصير بذاته، وليس من الصواب أن نقايس بين زمني الدنيا والآخرة، لأنّ الفاني ليس كالباقي))([1]) .

نستخلص مما سبق أَنَّ العوامل الحجاجية في القرآن الكريم تحتاج الى التفسير والتمحيص، لمعرفة المقصد الأساسي منها من الناحية اللفظية والمعنوية؛ حتى لا يحدث خلط لدى المتلقي في ماهية هذا العامل ودلالته. وقد كان لعاملية النفي والاستثناء والقصر فعالية حجاجية متميزة عملت على تماسك النص القرآني وتوجيه المتلقي نحو النتيجة التي يهدف القرآن الكريم إيصالها إليه.

([1]) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٦٩/٣٠.

المبحث الثاني: الروابط الحجاجية.

يُعدُّ الحجاج فعلًا حجاجيًّا مكونًا من جزئيات عديدة منها مجموعة الروابط والأدوات التي تؤدي الوظيفة الحجاجية بوساطة العودة إلى سياقاتها. والرابط هو ((قرينة لفظية تعمل على اتصال أحد المترابطين بالآخر))([1]) ، و الروابط الحجاجية من الآليات الفاعلة في نجاح العملية الحجاجية الخطابية أو الكتابية. وقد تعددت ترجمة المصطلح ؛ لكونه مصطلحًا غربيًا ، فمنهم من ترجمه بالرابط ، ومنهم من يطلق عليه اسم المورفيمات ، ومنهم من يسميه الواصلة([2]). وقد عدّ بعض الباحثين عملية الربط معقدة؛ فقد يتم الربط بين قولين ، وقد يتم بين عناصر غير متجانسة ، كالربط بين قول وقولية ، أو بين قول معين وسلوك غير كلامي إن أمكن ذلك، فالربط بين الأقوال ما هو إلا حالة خاصة ([3]). ولقد ظهر اهتمام ديكرو بالروابط جليًا لما تؤديه من أثر مهم في الخطاب([4]) ، إذ أدت أعماله أعمال أوزوالد ديكرو إلى شيوع الروابط التداولية أو الخطابية في علم الدلالة وفي التداولية أساسًا))([5]). فجاء مفهوم الروابط الحجاجية في مختلف مراحل نظريته((لا يقتصر على ربط المقاطع الخطابية، وإنما يصل الوحدات الدلالية، التي يضفي عليها ضربًا من التوجيه، والقوة الحجاجية الواصلة. وهو ما جعل دراسة الوصائل عند ديكرو تهتم بالجانب التواصلي من الناحية الدلالية ، و الحجاجية))([6]) ، ويصف دومينيك مونقانو أدوات الوصل أو الربط بالمورفيمات التي تقيم علاقة بين جملتين، وقد يتعلق هذا الأمر بالظروف مثل: (مع ذلك،

([1]) اللغة العربية معناها ومبناها:٢١٣.

([2]) ينظر: التداولية والحجاج مداخل ونصوص :٤٦.

([3]) ينظر: اللغة والحجاج:٢٩.

([4]) ينظر: الحجاج في الدرس اللغوي الغربي:٢٠.

([5]) التداولية اليوم علم جديد في التواصل:١٦٩.

([6]) الوصائل الحجاجية في المقاربات اللسانية الغربية، من خلال: "الحجاج والاستدلال، حافظ إسماعيلي علوي، ص:٧٨.

بالرغم،...)، والعطف مثل: (الفاء، الواو)، والإتباع أو الصلة مثل: (لأن، بما أن،...) ([١])، أو حسب ما قاله موشلار في كونها تلك الكلمات الدالة، مثل: (لكن، إذن، ولأن)، التي تقوم بربط الملفوظات مع بعضها ، سواء أكانت جمل بسيطة أم مركبة ([٢]). وبشكل عام فهي تربط بين قولين أو حجتين على الأصح أو أكثر من ذلك، وتجعل لكل قول أثرًا محددًا يقوم به داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة ([٣]). فالروابط تثري اللغة العربية خاصة _ لأنها محور دراستنا_ بأساليب متنوعة، تجعلها قادرة على تشكيل محطات تواصلية بحسب ما يريده المتكلم ويقصده ، وقد اهتم بها النحويون العرب من خلال عقد أبواب وتقسيمات خاصة بها ، وقد أشاروا إلى أهميتها في مواضع عديدة([٤]) قال المرادي: ((فإنه لما كانت مقاصد كلام العرب ،على اختلاف صنوفه، مبنيًا أكثرها على معاني حروفه، صرفت الهمم إلى تحصيلها، ومعرفة جملتها وتفصيلها، وهي مع قلتها ، وتيسر الوقوف على جملتها، قد كثر دورها، وبَعُد غورها، فعزّت على الأذهان معانيها، وأبت الإذعان إلا لمن يعانيها))([٥]). وهذا يدل على أهمية الروابط في عمليتي التخاطب و التحاجج ، فهي ((ترمي إلى صناعة أفعال، ومواقف اجتماعية أو ذاتية؛ ترمي إلى التأثير في المخاطب بحمله على فعل أو ترك، أو دعوة، أو تقرير، أو تأكيد، أو تشكيك، أو نفي، أو وعد،...))([٦]). وستعمل الباحثة في هذا المبحث على كشف أهم الروابط الحجاجية وأكثرها ورودًا في السور القرآنية القصار عن طريق ادراجها للحجج ، وكيف عملت هذه الروابط على جذب المتلقي واشراكه في العملية الخطابية كعنصر فعال له أثر في انجاحها والعمل على جذب متلقين غيره. ومن أهم تلك الروابط التي وردت في تلك السور:

([١]) ينظر: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب:٢٦.

([٢]) ينظر: السلالم الحجاجية في القصص القرآني: ١٤٦.

([٣])ينظر: اللغة والحجاج :٢٧.

([٤]) ينظر: السلالم الحجاجية في القصص القرآني:١٤٢.

([٥]) الجنى الداني في حروف المعاني:١٩.

([٦])التداولية عند العلماء العرب:٢١٧.

١- **بل:** هي أحد الروابط الحجاجية التي تربط بين قولين، ومعناها هو ((الإضراب عن الأول والإثبات للثاني))([١]) ، ويتمثل دورها في الربط نفيًا أو إيجابًا، وفقًا للسياق الذي ترد فيه ، فهي ترد([٢]) ((لتدارك كلام غلط فيه... وتكون لترك شيء من الكلام وأخذ غيره))([٣]) وتكون هنا للتنبيه، ومن الناحية الإعرابية إذا وقع بعدها مفرد تكون حرف عطف ، و ذكر بعض الكوفيين قسمًا آخر لها وهو إنَّها حرف جر خافض للنكرة([٤]). ووردت (بل) رابطًا حجاجيًا في مواضع عديدة من السور القصار منها:

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٣ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝١٤ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ۝١٥﴾ ([٥])، تصف هذه الآيات المكذبين باليوم الآخر ، وما يلحقهم من جزاء سلبي يتمثل بالعذاب وحجب الرحمة الإلهية عنهم ؛بسبب المواقف التي صدرت عنهم في الدنيا ونكرانهم لليوم الآخر. ونلاحظ ورود أداة الربط (بل) في قوله تعالى: (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون)، لتبين أن طبيعة الموقف الذي صدر عن المكذبين ما هو إلا نتاج لغشاء الران الذي غشى قلوبهم . فمصطلح (الران) يشير إلى : ((أن الأعماق التي يصدر الكافر عنها، تتميز بكونها منغلقة لا يرجى لها الشفاء أو لا يجدي معها أي علاج، وهذا مما يزيد المتلقي قناعة بكون المنعزلين عن مبادئ السَّماء مجموعة من (المرضى) الذين تجذّر المرض فيهم و يتعذر علاجهم... لذلك لا يستغرب المتلقي (إذا واجه أمثلة هذه الشخصيات) وهي تتمرد على مبادئ السَّماء وتنكر

([١])معاني الحروف:٧١.

([٢]) ينظر: الروابط الحجاجية في شعر المتنبي:٥٥.

([٣]) معاني الحروف:٧١.

([٤]) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢١١/١٩.

([٥])المطففين:١١-١٥.

حقائقها بهذا النحو))([1]). وتتجلى أهمية الرابط الحجاجي في بيان الحقيقة النفسية التي عبر عنها المنحرفون عن مبادئ الله، فعلماء النفس غالبًا ما يقولون: إنَّ الشخصية العدوانية شخصية مرضية يصدر منها سلوك غير مرغوب ومنها التكذيب ، فهل ينطبق مصداق هذا الشيء على المكذبين بيوم الدين؟ ، فيأتي الجواب من الله في أن هذا الأمر لا يفعله إلا كل معتد أثيم يصف الآيات المنزلة من الله في كونها أساطير قديمة ، حتى صار قلبه محجوبًا عن الرؤية الحقيقية لما يريده الله من تصديق وتسليم تام لأوامره ، ومثل هذه الشخصية يصعب معالجتها لكثرة الندوب السوداء التي سوّدت القلب.

فعادة التكذيب مستمرة لما ينزله الباري عزّ وجلّ ولاسيّما فيما يخص إنكار القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿**هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ۝١٧ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ۝١٨ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ۝١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ۝٢٠ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ۝٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ۝٢٢**﴾([2]). من الذين كذبوا فرعون وثمود ، فهاتان قصتان لأقوام طغت وكذبت ورد ذكرهما كثيرًا في القرآن الكريم ، ولكل منهما قصة ونتائج عذاب مختلفة عن قصة الآخر، وقد عبّر عنهما القرآن بلفظ الجنود ؛ بسبب ما كان لديهم من قوة ونفوذ. (**بل الذين كفروا في تكذيب، والله من ورائهم محيط**) ، فشأن الكفار وحقيقة حالهم أنهم في تكذيب دائم صباحًا ومساءً، ولا يعلمون أن الله من ورائهم محيط ، وهم غافلون عما يحيط بهم من قهر الله وعلمه العظيم ، فهم أضعف من أن ينجوا من عذاب الله الذي ينزل بهم في غمضة عين، " **بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ** " ، فهل يوجد أمجد وأرفع وأعرق من قول الله العظيم؟ وهو في لوح محفوظ ، لا نعرف ماهيته؛ لأنه من أسرار الغيب الذي تفرد الله بعلمها فقط ([3]). لقد كان لأداة الربط (بل) _التي تكررت مرتين في هذه السورة_ إيحاءٌ يترك أثره في القلوب في أنَّ المنحرف عن الطريق السوي وإنْ طال انحرافه فالله يحيط به بعلمه ويحصي كل صغيرة

([1])التفسير البنائي : ٥/٣٠٤-٣٠٥.

([2]) البروج: ١٧-٢٢.

([3]) ينظر: في ظلال القرآن: ٨/٥.

وكبيرة عملها ونسيها، فضلًا عن هذا فأنَّ الحقيقة الأخرى هي إنَّ القرآن الكريم كتاب مقدس، وثابت ، ومنزه عن الإنكار والتحريف، فقد حفظه الباري منذ التنزيل بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾(١).

وورد الرابط (بل) أيضًا في قوله تعالى:﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩ ﴾(٢). صرح بعض المفسرين إلى أن صدر سورة الأعلى يمثل سياقًا مكيًا و أما ذيلها من قوله تعالى : (**قد أفلح من تزكى**) إلى نهاية السورة ، فقد ورد من طرق أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ، وكذلك من طريق أهل السنة أن المراد بها زكاة الفطرة و صلاة العيد و من المعلوم أن الصوم و ما يتبعه من زكاة الفطرة و صلاة العيد إنما شرعت بالمدينة المنورة بعد الهجرة ، وبهذا فآيات الذيل نازلة بالمدينة(٣). ومنهم من ذهب إلى استبعاد هذا الأمر ، فالسورة بشكل عام تشير إلى تسبيح الله وتقديسه ، وذكر صفات الله ، والحديث عن القرآن ، وهداية الإنسان، وذيل السورة يشير إلى أن ما ورد في القرآن الكريم له مصداق آخر تمثل بالكتب والصحف الأولى ، كصحف إبراهيم وموسى(عليهما السلام). وما يتعلق بمجيء أداة الربط (بل) في قوله تعالى: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ فيتعلق بالعدول والانحراف عن طريق الفلاح، ((فأساس الفلاح بالنجاة من العذاب والفوز بالنعيم الخالد، يعتمد على ثلاثة أركان رئيسية: «التزكية»، «ذكر اسم اللّه» و«الصلاة»))(٤). فحبّ الدنيا هو مصدر الغفلة ، والسهو ، ووقوع الإنسان بفخ المعاصي والذنوب، لذلك جاء رد الباري في كون الآخرة خير وأبقى

---

(١) الحجر:٩.

(٢) الأعلى:١٤-١٩.

(٣) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: : ١٤٨/٢٠.

(٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢١٦/٢٩.

للإنسان من الدنيا بأكملها. فلا بدّ من الالتفات لأمر الدنيا وترك مباهجها المزيفة ، فالنص القرآني يحاجج المتلقي في كل الأزمنة، هل يعقل أن تستبدل ما هو زائل وفانٍ _الدنيا_ بما هو خير وأبقى _ الأخرة_ ؟! تلك إذًا قسمة ضيزى. وقد ساعدت أداة الربط (بل) في تقوية فهم الخطاب و توجيه عملية التأمل الفكري.

٢- **حتى:** وهي أيضًا من أدوات الربط الحجاجية التي يعتمدها المتكلم للربط بين حجتين متعلقتين بنتيجة واحدة ، فكل حجة مع (حتى) مكملة ومقوية للحجة الأخرى. فـ((القول المشتمل على الأداة (حتى) لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجي))([1]). فهي من عوامل الأسماء الخافضة ولا تكون إلا حرفًا، ومعناها ابتداء الغاية ويكون ما بعدها جزءًا مما قبلها، أو أن يكون له غاية في زيادة أو نقصان([2])، والذي عمل على أن يكون ما بعدها جزءًا أو غاية لما قبلها ؛ لاستعمالها على ما تقع عليه إما لرفعته أو لدناءته([3]).

ووردت (حتى) في مواضع متعددة منها:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥ ﴾([4]) تشير السورة المباركة إلى حقبة زمنية مهمة وهي نزول القرآن في شهر رمضان تحديدًا في ليلة القدر، ولم يفصح عن القرآن بلفظ صريح لكن الضمير في الفعل (أنزلناه) يعود على القرآن الكريم، وكذلك تشير إلى عظمة هذه الليلة ؛ لأن فيها تنزل الرحمة الإلهية على العباد ، وتقدّر فيها أعمال السنة كاملة بالمحو أو الإثبات. وموضع الشاهد هو قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ

([1]) اللغة والحجاج:٧٢.

([2]) ينظر: شرح المفصل للزمخشري: ٤/٤٦٥. واللغة والحجاج :٧٢.

([3]) ينظر: المصدر نفسه :٥/٤٦٥.

([4]) القدر: ١-٥.

﴿مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾. نلحظ أن الرابط الحجاجي (حتى) عمل على الربط بين حجتين ، الأولى هو نزول الملائكة والروح بإذن ربها في هذه الليلة ((لأجل تدبير كل أمر من الأمور التكوينية))([1])، والثانية سلام هي حتى مطلع الفجر. فـ(سلام) هنا خيرٌ إلهي ورحمة إما بعطاء جديد ، أو عن طريق دفع بلاء محتمل مع فسقة الإنس والجن ، ومحاربة الشهوات والشياطين([2]). وهناك من صرح أن أداة الربط (حتى) متعلّقة بسلام، أي: أن الملائكة مسلّمة إلى مطلع الفجر أي: تسلم الملائكة على المؤمنين، أو يسلم بعضهم على بعض. ويجوز أيضًا أن ترتفع (هي) بسلام على حد قول الأخفش أي: المبتدأ المتأخر بالخبر المتقدم، وهناك قول آخر يذكر إن : ليلة القدر ذات تسليم ، أي: ذات سلامة إلى وقت طلوع الفجر. وفيه يمكن عدّ القول الذي يقول بـ : تعلّق حتّى بسلام وقول الأخفش. وكذلك يجوز أن تتعلق (حتّى) بتنزّل ([3]). فربطت (حتى) بين حجتين لهما نتيجة واحدة وهي أن ليلة القدر على أي حال هي ليلة ملؤها النور ، ونزول الرحمة الإلهية متمثلة بنزول الملائكة والروح بما يريده الله ، والخير ، والبركة، والسعادة ، والسلامة من كل سوء محدق بالعباد.

وورد الرابط الحجاجي (حتى) في قوله تعالى: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ۝٢ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ۝٣﴾([4]). تتحدث هذه الآيات عن أهل الكتاب (اليهود والنصارى) ، والمشركين العرب قبل الإسلام، إذ إنَّهم رفضوا الانفكاك عن دينهم حتى تأتيهم بيّنة تقنعهم بأهلية الدين الجديد، فالبينة هي الدليل الواضح، ومصداقها هو شخص (رسول الله) وهو يتلو القرآن الكريم عليهم، وقد ربطت الأداة (حتى) بين حجتين الأولى عدم ترك أهل الكتاب والمشركين

([1]) الميزان في تفسير القرآن: ٣٣٢/٢٠.

([2]) ينظر: منة المنان في تفسير القرآن:٥٣٧/١.

([3]) ينظر: إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن: ٢٩٠/٢.

([4]) البينة:١-٣.

لدينهم ، والثانية إتيان الدلائل الساطعة من قبل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكلا الحجتين تفضيان إلى نتيجة مضمرة هي أن اللّه لا يترك أهل الكتاب والمشركين هكذا حتى يتمّ الحجّة عليهم ، ويرسل رسوله بالدلائل الواضحة التي تبيّن لهم الطريق الصحيح. فتعامل الله معهم كان بمنتهى الرحمة و اللطف؛ لأنهم سيلاقون الباري يوم الحساب و يجعلون الحجة عليه في عدم إرسال رسله بالبينات إليهم عندما كانوا يجهلون حقيقة الإيمان بالله ، فأراد إتمام الحجة عليهم في الحياة الدنيا ، وعلى الرغم من هذا فقد تفرّقوا من بعد ما جاءهم الحق من ربّهم فظهرت حقيقة ادعائهم الباطل بدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ۝٤ ﴾(١).

وفي موضع آخر وردت (حتى) لبيان حال من يتفاخرون بعدد قبور موتاهم في قوله تعالى: ﴿ أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۝٢ ﴾(٢) تذكر الآيتان الذهاب إلى المقابر وإحصاء الموتى بهدف التكاثر في الأنفس والتفاخر بالعدد ، بدليل كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام)(٣)، بعد أن تلا: (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) قال: ((يا له مرامًا ما أبعده ، وزوراً ما أغفله، وخطراً ما أفظعه، لقد استخلوا منهم أي مدّكر، وتناوشوهم من مكان بعيد!! أفبِمَصَارع آبائهم يفخرون، أم بعديد الهلكى يتكاثرون؟! يرتجعون منهم أجساداً خوت، وحركات سكنت، ولأنْ يكونوا عِبَراً أحقُّ من أنْ يكونوا مفتخراً))(٤). فقارئ هذه الخطبة لو تمعن فيها وعرف عمق معناها لارتعدت فرائصه، وأحدثت فيه خوفًا وعظةً، ولجعلته معتقدًا وكأن الكلام موجه إليه عندما يصاب بالغفلة. فتأثير هذا الكلام أعظم وأبلغ في القلوب. فاستعمال لفظ (زرتم) يراد به (الموت) ، وإذا تحسسنا هذا الأمر من زاوية التذوق الفني الصرف نجد أن مفهوم الزيارة اقترن بمفهوم الموت ، أي إنَّ هؤلاء القوم

---

(١) البينة: ٤.

(٢) التكاثر: ١-٢.

(٣) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٣٩٥/٣٠.

(٤) نهج البلاغة: خطبة ٥٠٩/٢١٩.

قد ألهاهم التكاثر حتى الموت خاصة وإنَّ النص قد انتقل من هذه الفكرة إلى الحديث عن اليوم الآخر لقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ ﴾([1])، إشارة لما ينتظرهم في اليوم الآخر من جزاء لأفعالهم ، وهذا بدوره شكّل نقلة فنية من الحديث عن (التكاثر) إلى الحديث عن (اليوم الآخر)([2]). فأداة الربط (حتى) من خلال ربطها بين حجتين عملت على جعل ذهن المتلقي يتداعى إلى أكثر من دلالة فكرية ، فضلًا عن إضفاء ما يشبه أسلوب التحاور من خلال ذكر (ألهاكم...) وتعقيبها بـ(حتى زرتم المقابر).

٣- روابط الوصل والفصل: يوجد في اللغة العربية روابط للوصل وروابط للفصل، وتعمل هذه على الربط بين الجمل ، ولكل رابط وظيفته الخاصة ، فضلًا عن هذا فقد يخرج الرابط من معناه الأصلي إلى معنى آخر مجازي على وفق السياق الذي يرد فيه.

يقول عبد القاهر الجرجاني فيما يتعلق بروابط الوصل والفصل: ((فليس الفضل للعلم بأن الواو للجمع، والفاء للتعقيب بغير تراخٍ، وثم بشرط التراخي ... ، ولكن لأن يتأتى لك إذا نظمت شعرًا ، وألفت رسالة أن تحسن التخيّر، وأن تعرف لكل من ذلك موضعه))([3]).

أولًا: روابط الوصل.

هي ((علاقة منطقية تتمثل في تكوين قضية مركبة انطلاقًا من قضيتين بسيطتين بواسطة الربط))([4]) ، كما في استعمال الـ(و، ف، ثم، إنّ، أنّ) ، ويسميها (فان دايك) (روابط الوصل التشريكي)([5]) ، فوظيفتها ((تكوين جمل مركبة من جمل بسيطة ، وعلى ذلك

([1]) التكاثر:٣-٤.

([2]) ينظر: التفسير البنائي للقرآن الكريم: ٣٩٨-٣٩٩.

([3]) دلائل الإعجاز : ٢٥٠.

([4]) استراتيجية الخطاب: ٤٧٧.

([5]) ينظر: الروابط الحجاجية في شعر المتنبي: ١١٠.

فعمل هذه الروابط هو حصول الإجراء الثنائي))([1]). وقد وردت هذه الروابط كثيرًا في السور القرآنية القصار.

١- **الواو:** يفيد الواو مطلق الجمع عند النحويين([2])، و الإشراك في الحكم ، فهو يقوم بجمع الحجج ترتيبها ووصلها ببعضها عن طريق خطاب واحد متكامل، و العمل على تقويتها([3]).

وورد الرابط (الواو) في مواضع كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦ ﴾([4])، نلاحظ هنا رابط الوصل الحجاجي (الواو) قد عمل على إشراك الحجة اللاحقة بالحجة السابقة من خلال تدرج ثلاث حجج متتابعة هي (وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ، وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ*، وزرابي مَبْثُوثَةٌ*) وتفضي هذه الحجج إلى نتيجة واحدة مفادها أنّ منزل الجنّة لا مثيل له من كلّ الجهات، فهو خالٍ من أي أنواع الألم أو العذاب أو الحرب أو الجدال ، ويتاح في هذا المنزل كلّ ما تشتهيه الأنفس من ألوان الثمار ، والأنعام ، والعيون الجارية ، والأشربة الطاهرة، والولدان المخلدين ، والحور العين ، والأسرّة المرصعة ، والفرش الفاخرة ، وأقداح جميلة في متناول اليد ، وجلساء أصفياء متحابين، وغير ذلك ممّا لا يمكن عدّه بلسان أو وصفه بقلم ، ولا حتى تخيله إذا ما سرحت المخيّلة في عالمها([5]).

([1]) النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي:٨٣.

([2]) ينظر: ومغني اللبيب عن كتب الإعاريب:٦٢٩. و الجنى الداني في حروف المعاني:١٦٢/١.

([3]) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية:٤٧٢.

([4]) الغاشية:٨-١٦.

* يقصد بـ(نمارق مصفوفة) وسائد ذات تنظيم خاص يتكأ عليها في الجنة.

*يقصد بـ(زرابي مبثوثة) فرش الجنة الفاخرة.

([5]) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢٢٨/٢٩.

٢- **ثم:** وهي من روابط الوصل أيضًا التي تعمل على تدرج الحجج ، وتفيد الترتيب مع التراخي ، أي: وجود مهلة زمنية تفصل بين الحجة الثانية والحجة الأولى ، وهي كسابقتها وردت في مواضع متعددة منها قوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣﴾(١)، لطالما كانت الذكرى خير ما يحيي القلوب ، وإذا تم التذكير بها ينقسم الناس قسمين إنسان يتحلى بروح الخشية فينتفع بالمواعظ الإلهية ، وآخر معاند للحق لا ينفع معه التذكير. وقد عملت أداة الوصل الحجاجية (ثم) على وصل حجتين متتاليتين (الَّذِى يَصْلَى النَّارَ الكُبْرَى ، ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَى) ، فقد أفادت هنا التراخي الرتبي بحيث تدل على أن معطوفها متراخي الرتبة في الغرض المراد له الكلام ، وهو شدة العذاب فإن تردد حال المعذب بين الحياة والموت وهو في عذاب الاحتراق يعد أشدّ من عذاب الاحتراق ، فالاحتراق واقع لا محالة ، وقد زيد فيه درجة حتى أصبح لا راحة منه بموت ولا مخلص منه بحياة(٢)، وهذا بدوره يدفع بالمتلقي للتنبه والحذر من أن تكون عاقبته كعاقبة هؤلاء.

٣- **الفاء:** تعد الفاء من أدوات الوصل التي تفيد الترتيب من دون تراخٍ بين الحجج المدرجة. فهو ذو أثر فعال في ترتيب الحجج عن طريق ربط النتائج بالمقدمات ، وحصر المعنى وتحديد الفكرة، و الربط بين حجة سابقة وحجة لاحقة أو بين مجموعة حجج لتحقيق الانسجام في بناء النص، وإقامة علاقة حجاجية بين الحجج والنتائج الظاهرة أو المضمرة التي تهدف إلى إقناع المخاطب بالحدث الحجاجي، و ربط الحجج والأفكار التتابعية ربطًا سببيًا ، فيتولد من وراء ذلك استدلال مباشر للنتيجة(٣).

---

(١) الأعلى: ٩-١٣.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٨٦/٣٠.

(٣) ينظر: الحجاج في آيات الأحكام: ٤١.

وورد (الفاء) رابطًا حجاجيًا في مواضع متعددة منها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ۝٩ ﴾(١). فقد ورد الرابط الحجاجي (الفاء) في قوله: (فملاقيه) التي عطفت على كادح وهذه الحجة تمثيل لحال الملاقي الله في اليوم الآخر، وغاية هذا اللقاء بعد جهد النفس في العمل والعناء؛ إرضاء لله فهو الخالق والمدبر على خلاف المخلوق الذي لا يملك لنفسه نفعًا ولا شرًا ، و((من هنا يظهر أولًا أن قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يتضمن حجة على المعاد لما عرفت أن الربوبية لا تتم إلا مع عبودية ، ولا تتم العبودية إلا مع مسؤولية ، ولا تتم مسؤولية إلا برجوع وحساب على الأعمال، ولا يتم حساب إلا بجزاء ، وثانيًا: أن المراد بملاقاته انتهاؤه إلى حيث لا حكم إلا حكمه من غير أن يحجبه عن ربه حاجب ، وثالثًا: أن المخاطب في الآية هو الإنسان بما أنه إنسان فالمراد به الجنس ، وذلك أن الربوبية عامة لكل إنسان))(٢)

٤- **إنّ** : وهي من روابط الوصل الحجاجية التي تفيد التأكيد والتحقيق ؛ إذ يرى النحويون أنها تؤكد ما بعدها وتعمل على تحقيقه (٣)، وبهذا فهي أداة فاعلة في الحجاج تساعد المتكلم على إقناع المخاطب من خلال تثبيت رأيه وتحقيقه . وقد ورد هذا الرابط كثيرًا في السور القرآنية القصار، من ذلك قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٩

(١) الانشقاق: ٦-٩.

(٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢٠/٢٤٢-٢٤٣.

(٣) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: ٣١٧.

﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرٞ ۝١١ ﴾(١)، فقد اشتملت الآيات القرآنية هنا على رابط الوصل (إنّ) مكررًا ، ليؤكد وظيفيته الفعلية في التأكيد و تثبيت الحقائق فيما يتعلق بجحود الإنسان ، ونكران نعم الله عليه، وحقيقة أنّ الإنسان معترف بحقيقة جحوده ، ويعلم أنَّ الله هو الإله الوحيد الذي يستحق الشكر والطاعة، ويتوالى الرابط (إنّ) في إظهار الحقائق وتثبيتها فيما يتعلق بحبّ الإنسان للمال حبًا شديدًا. و إذا به يُسأل سؤال استنكاري أفلا تعلم إذا بعثر ما في القبور، وحصل ما في الصدور؟! ليجعله في حيرة من أمره مذهولًا من شدة ما سمع، فيأتي الجواب إنّ ربّهم بهم يومئذ لخبير، أي: يعلم أحوالهم في الحياة الدنيا وما عملوه ، ويعلم إلى ما سيؤول حالهم في الآخرة ويقصد به العقاب.

وقد كَثر مجيء التراكيب القرآنية المشتملة على روابط الوصل الحجاجية في سياق واحد، من ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ۝١٠ ﴾(٢). فقد اشتملت الآية المباركة على روابط الوصل (إنّ، و ثمَّ، و الفاء، و الواو) في آية واحدة ، تشير إلى (إنَّ الذين فتنوا) أي الذين قاموا بإيذاء المؤمنين والمؤمنات بما لا يحتملونه ، فلا بدّ من أن ينالوا جزاءهم في الدنيا والأخرة. و ((لما كانت التوبة مقبولة قبل الغرغرة ولو طال الزمان ، عبر بأداة التراخي فقال : { ثم لم يتوبوا } أي عن ذنوبهم وكفرهم، ولما كان سبحانه لا يعذب أحداً إلا بسبب ، سبب عن ذنبهم وعدم توبتهم قوله:{ فلهم } أي خاصة لأجل كفرهم { عذاب جهنم } أي الطبقة التي تلقى داخلها بغاية الكراهة والتجهم ، هذا في الآخرة { ولهم } أي مع ذلك في الدارين لأجل فتنتهم لأولياء الله {عذاب الحريق} أي العذاب الذي من شأنه المبالغة في الإحراق بما أحرقوا من قلوب الأولياء))(٣). فكان لكل أداة وظيفة خاصة

---

(١) العاديات: ٦-١١.

(٢) البروج:١٠.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٩/ ٣٨٤.

ثانيًا: روابط الفصل.

وهي ((الروابط التي تكون غايتها توزيع العناصر التي تُعدُّ كُلًّا واحدًا ، أو على الأقل مجموعة متحدة ضمن الأنظمة الفكرية أو فصلها أو تفكيكها))([1]) ، والفصل بشكل عام ((علاقة منطقية يتم الربط فيها بين قضيتين بسيطتين))([2]) ، ومن روابط الفصل الحجاجي (أو) و(أم) ، وقد وردت (أو) فقط في السور القرآنية القصار.

أو: وهي إحدى روابط الفصل الحجاجية وتفيد التخيير والشك ، وتستعمل ((عندما يريد المتكلم أن يقوم إما بالفعل الأول أو الثاني في حال أو وقت محدد من المستقبل))([3]) ، وللرابط (أو) ثمانية معانٍ هي: الشك، والتخيير، والإباحة، والتقسيم، والإضراب، وقد تأتي بمعنى الواو ، ومعنى (ولا)([4]).

وقد ورد رابط الفصل (أو) في السور القرآنية القصار في قوله تعالى:﴿ **وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ**﴾([5]). فقد استهِلت سورة المطففين بالحديث عن المتلاعبين بالمكاييل الذين يبخسون الناس أشياءهم ، وتقريع أسماعهم بلفظ (ويل) وهي كلمة تقال للدعاء بسوء الحال. وسبب نزول هذه الآيات هو كثرة التطفيف أنذاك[6] ، وجملة (الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون)، مسوقة لكشف عادة ذميمة فيهم هي الحرص على توفير مقدار ما يبتاعونه من

([1]) استراتيجية الخطاب:٤٧٧.

([2]) التداولية اليوم، علم جديد في التواصل : ٢٦٨.

([3]) النص والسياق: ٩٨.

([4]) ينظر: الروابط الحجاجية في شعر المتنبي: ١١٢.

([5]) المطففين:١-٣.

([6]) وكان ممن اشتهر بالتطفيف في المدينة رجل يكنى أبا جُهينة واسمه عمرو كان له صاعان يأخذ بأحدهما ويعطي بالآخر.

دون حق لهم([1])، وقد عطفت عليها جملة (وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) فهم مذمومون في كل الأحوال. وجاء رابط الفصل (أو) بين حجتين هما (كالوهم) و (وزنوهم) ، وقد أفادت معنى الإباحة أي أن المخاطب حر في اختيار أمر واحد أو الأمرين معًا، ولاسيما أنَّ المطففين ((هم أهل التجر وهم يأخذون السلع من الجالبين في الغالب بالكيل لأن الجالبين يجلبون التمر والحنطة ونحوهما مما يكال، ويدفعون لهم الأثمان عيناً بما يوزن من ذهب أو فضة مسكوكين أو غيرَ مسكوكين ، فلذلك اقتُصر في ابتياعهم من الجالبين على الاكتيال نظراً إلى الغالب ، وذكر في بيعهم للمبتاعين الكيل والوزن لأنهم يبيعون الأشياء كيلاً ويقبضون الأثمان وزناً))([2]) .

نستخلص من هذا أَنَّ للروابط الحجاجية دورٌ فاعلٌ في تحقيق الوظيفة الإقناعية للحجاج ، عن طريق الاعتماد على المعطيات والحجج التي توفرها وصولًا للنتيجة المقصودة من الحجاج بآلياته المختلفة في السور القرآنية القصيرة.

([1]) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٠/١٩٠.

([2]) المصدر نفسه: ٣٠/١٩١-١٩٢.

المبحث الثالث: السلالم الحجاجية.

يعدّ السلم الحجاجي من متطلبات الدراسات الحجاجية سواء أكانت اللغوية أم البلاغية أم الفلسفية والمنطقية ،ومن معناه العام يعرف بأنه مفهوم للصعود والرقي أو هو التدرج من الحجج الضعيفة إلى الحجج القوية ليفضي بنتيجة نهائية تؤكد حُجية الحجج المتدرجة ، وغير هذا فقد تعددت مفاهميه عند العرب والغرب وما يهمنا هنا المفهوم العام والشائع له فقد عُرف بأنه: ((عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية و موفية بالشرطيين الآتيين:

أ- كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته ، إذ تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال من دونه.

ب- كل قول كان في السلم دليلًا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلًا أقوى عليه))([1]).

فالسلم يعتمد في بنائه الهيكلي على حجج عديدة تكون متفاوتة في القوة الحجاجية؛ مزودة بعلاقة تراتبية تعتمد هذه العلاقة بشكل أساسي على القوة الحجاجية للحجج الواردة لتكوّن لها نتيجة نهائية أو ما يعرف بالحجة القوية ، فالحجة كلما كانت أقرب من النتيجة كلما كانت أقوى وذات وقع في نفس المتلقي. ولأَنَّ موضوعنا يتعلق بالقرآن الكريم وكلام مفسريه ، فقد اهتم المفسرون بالسلالم الحجاجية وعدّوها من أهم الوسائل التي تؤدي لبيان مقاصد الآيات القرآنية ([2]). فهي تعطي للمتلقي نمطًا معينًا من النتائج تأتي بعدها الوجهة التي تمكن المخاطب من أن يسير فيها ([3]) .

([1]) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ٢٧٧.

([2]) ينظر: السلالم الحجاجية في القصص القرآني : ١٠١.

([3]) ينظر: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه:٢٣.

وقد أشار (ديكرو) و(أنسكومبر) إلى أَنَّ وظيفة الحجاج في الجانب اللغوي تكمن في التوجيه الذي يدور حول مستويين هما: مستوى السامع، ومستوى الخطاب ذاته ([١]) ((والآية في توجيه السامع التأثير فيه ، أو مواساته، أو إقناعه، أو جعله فعلًا ما، أو إزعاجه، أو إحراجه. وفي مستوى الخطاب، يحصل هذا التوجيه حين يكون القول(ق١) مؤديًا بالضرورة إلى ظهور(ق٢)، صراحة أو ضمنيًا)) ([٢]) .

ولابد من إبراز صورة السلم الحجاجي عن طريق قوانينه، فقد صاغ ديكرو ثلاثة قوانين خاصة به ،عُرفت من خلال كتاباته وهي:

١- قانون الخفض: ويقصد بهذا القانون أنه إذا صدق القول في مراتب ما من السلم، فإن نقيض هذا القول يصدق في المراتب التي تقع تحتها ([٣]).

٢- قانون تبديل السلم (النفي): ويعني هذا القانون ((أنه إذا كان القول دليلًا على مدلول معين ، فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله، بمعنى أننا لو استعملنا الملفوظ (ب) للدلالة على مدلول ما فإن نفيه (ليس ب) سيكون دليلًا على نقيض المدلول بمعنى إذا كانت (ب) تنتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بالمدلول (ج) فإن(ليس ب) تنتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بالمدلول (ليس ج))) ([٤]).

٣_ قانون القلب: يرتبط هذا القانون بالنفي أيضًا، ويبين هذا القانون أن السلم الحجاجي للأقوال المنفية عكس سلم الأقوال الإثباتية ، فإذا كانت إحدى الحجتين أقوى من الأخرى في الدلالة على نتيجة معينة، فإن نقيض الحجة الثانية يكون أقوى من نقيض الحجة الأولى في الدلالة على النتيجة المضادة ([٥]).

([١]) ينظر: المصدر نفسه:٢٣. يميل الباحثون بالعادة لرأي (ديكرو) الذي يشير لوجود ثمة تلازم بين الحجج المتدرجة وبين النتيجة التي تصدر عنها، ينظر: نظرية الحجاج في اللغة:٣٦٣.

([٢]) الحجاج والاستدلال الحجاجي: ١٥٣.

([٣]) ينظر: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي :١١٩.

([٤]) المصدر نفسه: ١١٨.

([٥]) ينظر: اللسان والميزان، ٢٧٨.

وعند تتبعنا للسور القصار في من القرآن الكريم تمثلث السلالم الحجاجية في مواضع عديدة، منها:

قوله تعالى:﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ﴾(١). تضمنت سورة الأعلى سلمًا حجاجيًا تنازليًا مبدوءً بالنتيجة (ن)* (سبح اسم ربّك الأعلى) ، متدرجًا بخمس حجج (ح)هي كالآتي:

ح٥: هو الذي جعل من النبات عدة منافع للإنسان.

ح٤: هو الذي أخرج النباتات.

ح٣: لأنَّه القادر والهادي.

ح٢: لأنَّه القادر على الخلق والتسوية.

ح١: لأنَّه الرب الأعلى.

ن: تسبيح الله عز وجل.

فلكل هذه النعم وجب تسبيح الله وتعظيمه ، فما ذكرته الآيات المباركة من صفات: الربوبية، (الأعلى، والخلق، والتسوية، والتقدير، والهداية وإخراج المرعى وجعله غثاء (له عدة منافع للإنسان))، توصلنا إلى الربوبية الحقّة للّه سبحانه وتعالى، وبقليل من التأمل يتمكن أيّ منا إدراك حقيقة المعنى؛ ليصل نور الإيمان إلى قلبه، فيشكر المنعم على ما أعطى (٢) . فقد توالت الحجج من ناحية القوة الحجاجية وترابطها فيما بينها لتظهر نتيجة نهائية واحدة وهي تسبيح الله عز وجلّ ، وإذا كان هناك تساؤل من قبل المتلقي لماذا

---

(١) الأعلى:١-٥.

*يرمز للنتيجة بالرمز(ن) ، والحجج بـ(ح) ، والأقوال بـ(ق).

(٢)الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل :٢١٠/٢٩.

نسبحه؟ فالجواب جاء بعد النتيجة ؛ لأنه الرب الأعلى ، وهو الخالق ، والقادر والهادي ، وهو الذي رزقكم نعمة خروج النباتات وبعد يبسها تصبح صالحة لمنافع عدة تفيد البشر.

فعند تفسير هذه الآيات المباركة نقف عند كلمة (أخرج) ففيها ((وصف جميل لعملية تكوّن النباتات، حيث إنّه يتضمّن وجودها داخل الأرض فأخرجها الباري منها. وممّا لا شك فيه إنّ التغذية الحيوانية هي مقدمة لتغذية الإنسان، وبالنتيجة فإنّ فائدة عملية تغذية الحيوان تعود إلى الإنسان. ثمّ: (فجعله غُثاء أحوى). «الغثاء»: هو ما يطفح ويتفرق من النبات اليابس على سطح الماء الجاري...، وجاء في الآية بمعنى: النبات اليابس المتراكم. «أحوى»: من (الحوة) . على زنة قوّة . وهي شدّة الخضرة، أو شدّة السواد ... وجاء في الآية بمعنى: تجمع النبات اليابس وتراكمه حتّى يتحول لونه تدريجياً إلى السواد... وعلى أيّة حال، فللغثاء الأحوى منافع كثيرة.. فهو غذاء جيد للحيوانات في الشتاء، ويستعمل كسماد طبيعي للأرض، وكذا يستعمله الإنسان كوقود))[1] .

فكل ما تقدم ذكره من مسائل التقدير والهداية العامّة للموجودات، التي تناولتها الآيات السابقة، تُعدُّ من المسائل الحيوية التي يحتاج إليها الإنسان كلما تقدم به الزمان وتوسعت مداركه، والباري سخرها له لينتفع بها ، فبعد هذا كله ألا يستحق التسبيح والتعظيم ؟!.

ويظهر السلم الحجاجي تصاعديًا في قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَىٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ ﴾[2].

ورد السلم الحجاجي متمثلًا بست حجج مفضيةً لنتيجة واحدة كالآتي:

([1])الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٢٠٩/٢٩.

([2]) الشمس: ١١-١٤.

ن: عاقبتهم الهلاك.

ح٦: فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها.

ح٥: فعقروها.

ح٤: فكذبوه.

ح٣: فقال لهم رسول الله: ناقة الله وسقياها.

ح٢: إذ انبعث أشقاها.

ح١: كذبت ثمود بطغواها.

تضمنت هذه السورة القصيرة ذات الفاصلة الواحدة والإيقاع الموسيقي الجميل ظواهر كونية عديدة ، فضلًا عن تضمنها لقصة قوم ثمود الذين طغوا وكذبوا نبيهم وقاموا بعقر الناقة التي حذرهم من الاقتراب منها ليجدوا أنفسهم من الخائبين المعذبين الذين لم يفكروا بصون أنفسهم وتطهيرها من الموبقات ، وقد رسم لنا السلم الحجاجي نتيجتهم المخزية وهي الهلاك والعذاب بتدرج الحجج الواردة في السورة.

والذي قام بفعل العقر هو شخص واحد من قوم ثمود وهو (الأشقى)، لكن النص القرآني عبر عن ذلك بلفظ (عقروها) ؛ لأنهم كانوا راضين بفعلته الشنيعة فشملهم العذاب ، ((وهذا مبدأ من مبادئ الإسلام الرئيسة في التكافل في التبعة الاجتماعية في الحياة الدنيا. لا يتعارض مع التبعة الفردية في الجزاء الأخروي حيث لا تزر وازرة وزر أخرى. على أنه من الوزر إهمال التناصح والتكافل والحض على البر والأخذ على يد البغي والشر. عندئذ تتحرك يد القدرة لتبطش البطشة الكبرى :{ فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها } (...) { دمدم} يوحي بما وراءه ، ويصور معناه بجرسه ، ويكاد يرسم مشهداً مروعاً مخيفاً! وقد سوى الله أرضهم عاليها بسافلها ، وهو المشهد الذي يرتسم بعد الدمار العنيف الشديد))([1]) ،فجاء مشهد شدة العذاب موحيًا يراد به تخويف النفوس وتحذيرها من التعدي على ما حرم الله

([1]) في ظلال القران: ٣٩١٩/٣٠.

الاقتراب منه، فقد جعل للناس سُنة يستنون بها في أمورهم فمن التزم بها فقد استمسك بالعروة الوثقى ومن تجاوزها من المكذبين والطغاة فقد ظلم نفسه ووعدها العذاب والتنكيل.

ويقابلنا سلم آخر يُبين حال فريقين لكل منهما مأوى مختلف عن الآخر من ناحية العقاب والثواب في قوله تعالى: ﴿ مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾[1] عن طريق إيراد حجتين ونتيجة لمأوى الطغاة و مأوى المؤمنين:

ن: مأواه جهنم خالدًا فيها

ح٢: وآثر الحياة الدنيا على الآخرة

ح١: لأنّه طغى.

ن : مأواه الجنة خالدًا فيها.

ح٢: ونهى النفس عن الهوى.

ح١: لأنه خاف مقام ربه الأعلى.

فقد قسم الباري أحوال خلقه يوم القيامة بحسب أهوائهم في الدنيا ، فمن طغى وتجاوز حدود الله بارتكابه المعاصي ، و(آثر الحياة الدنيا) فقد استبدل منافع الدنيا بعظيم ثواب الآخرة وكتب صحيفة أعماله بيده ، ((وقيل: المعنى من آثر نعيم الحياة الدنيا على نعيم الآخرة والحياة حياتان: حياة الدنيا وهى المنقطعة الفانية، وحياة الآخرة، وهي الدائمة، فمن آثر الباقي الدائم على الفاني المنقطع كان حسن الاختيار، ومن آثر الفاني على الباقي كان سيئ الاختيار مقبحًا. ثم بين تعالى ما له في الآخرة فقال (فإن الجحيم هي المأوى) أي النار مثواه ومستقره وموضع مقامه))[2]. بعد ذلك ذكر الباري حال من خاف مقام ربه

([1]) النازعات: ٣٧-٤١.

([2]) التبيان في تفسير القرآن : ٣٠/٢٦٤.

بالتزامه بما أمر الله وامتناعه عن المعاصي ونهي نفسه عن السير وراء شهواته عن طريق ترويض النفس وكبح جماح شهواتها والأخذ بها لطريق النجاة بتحكيم عقله لما فيه أمر دينه ودنياه وآخرته ، فيكون بعد ذلك ثواب هذه الأعمال الجنة بما فيها من نعيم دائم.

فالأنفس تشتهي ما تشتهي الأرواحُ في الغيوب والعقول والقلوب ، فيضطرهم هنالك إلى كل شيء يكون خاصًا للنفوس والأرواح ، جنات تظهر فيها أنوار شهود الحق ، وأين الكافر والمعطِّل والمدّعِي من هذا المقام الكبير ؟ وهم خلقوا من الجهالة ، فيموتون في الضلالة ، وأصحاب القلوب والمعارف تعيش أرواحهم عيش الربانيين ، وعيش نفوسهم عيش الجنّانيين أي أهل الجنة الحسية، والله قادر بذلك يختص برحمته مَن يشاء من عباده ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : « أسلم شيطاني » وقال : « نحن معاشر الأنبياء أجسادنا روح » ثم قيل أنه : لا يَسلم من شر الهوى إلاَّ الأنبياء وبعض الصدّيقين ، وكذلك من ألزم نفسه بالأدب([1]).

وقد وردت آيات في السور القصار تتحدث عن أهوال يوم القيامة وأحداثها المفزعة التي يرد فيها سلم حجاجي يمثل تتابع الأحداث سراعًا في ذلك اليوم،منها قوله تعالى:﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾([2]).

([1]) ينظر: البحر المديد :٢٣٤/٧.

([2]) الانفطار: ١-٥.

ن: علمت نفس ما قدمت وأخرت.

ح٤: وإذا القبور بعثرت.

ح٣: وإذا البحار فجرت.

ح٢: وإذا الكواكب انتثرت.

ح١: إذا السماء انفطرت.

تظهر حقيقة السلم التصاعدي هنا في تدرجه بوصف الانقلاب الكوني، ومن مظاهر هذا الانقلاب انشقاق السماء، وانتثار الكواكب وتفجير البحار عن طريق فيضانها على اليابسة ، وبعثرة القبور وهذه ((إما أن تكون بسبب من هذه الأحداث السابقة. وإما أن تكون حادثاً بذاته يقع في ذلك اليوم الطويل ، الكثير المشاهد والأحداث. فتخرج منها الأجساد التي أعاد الله إنشاءها – كما أنشأها أول مرة – لتتلقى حسابها وجزاءها. يؤيد هذا ويتناسق معه قوله بعد عرض هذه المشاهد والأحداث : { علمت نفس ما قدمت وأخرت }. أي ما فعلته أولاً وما فعلته أخيراً. أو ما فعلته في الدنيا ، وما تركته وراءها من آثار فعلها. أو ما استمتعت به في الدنيا وحدها ، وما ادخرته للآخرة بعدها)) ([1]). فبعد هذه الأحداث سترى كل نفس الحقيقة الحتمية التي وعدها الله وقالها في كتبه المنزلة على أنبيائه ، وجاءت لفظة (نفس) غير مسبوقة بـ(كل) مع العلم أنَّ الآية تتحدث عن كل الأنفس؛ وذلك لكون المفردة أجمل إيقاعًا وأشد تأثيرًا بالنفس ، فالقارئ المتمعن عندما يقرأ النص تتابع عنده الأحداث حتى يقف مذهولًا عند هذه الآية (علمت نفس ما قدمت وأخرت) ؛لأنها ستكون نتيجة تراها البشرية جمعاء.

وينتقل بنا الكلام لصورة أخرى تتحدث عن إنزال العذاب بـ(من طغى) عن طريق رسم مشاهد لعقابه؛ لترهيب المتلقي ودفعه للعمل بإيمان تام،كما هو واضح في قوله تعالى:﴿ **أَلَمْ**

([1]) في ظلال القرآن: ٣٨٤٧/٣٠.

تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾([1]) .

فالسلم الحجاجي يظهر في أربع حجج هي كالآتي:

ن: العقاب : بجعلهم كالعصف المأكول.

ح٤: ترميهم بحجارة من سجيل.

ح٣: أرسل عليهم طيرًا أبابيل.

ح٢: ألم يجعل كيدهم في تضليل.

ح١: ألم ترَ كيف فعل ربك بأصحاب الفيل.

جاءت النتيجة التي تحمل في طياتها صورة العقاب المخزي لأعمالهم التي تجاوزت حدود الشرع الإلهي. ويلاحظ عن طريق هذه القصّة_ تم تفسيرها وتوضيحها في فصل (الحجاج البلاغي)_ أنها تتضمّن بيان لقدرة اللّه أمام المستكبرين والطغاة على أفضل وجه، ولعل هذا العقاب الذي حلّ بأبرهة وجيشه لا يبلغه عقاب آخر، إذ بسببه تهشّم جيشه وتحول إلى (عصف مأكول). وإنَّ هذه الإبادة لهذا الجيش الجرار بكلّ ما يمتلكه من قدرة كان بوساطة أحجار صغيرة، تحملها طيور صغيرة ([2]). وفي هذه السورة المباركة تحذير وترهيب لكلّ طاغٍ في هذا العالم، ليرى أن قدرة الله تفوق ما لديه أضعافًا مضاعفة. وفيها أيضًا إثبات لصدق دعوى الرسول(ص) في كونه لم يكن شاهدًا على أحداث هذه الواقعة ، لكنه سرد تفاصيلها بدقة على أسماع المشركين عن طريق كتاب أحكمت آياته بشكل يفوق ما هم عليه آنذاك.

([1]) الفيل: ١-٥.

([2]) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢٠/ ٤٦٩.

لقد اعتمدت السلالم الحجاجية في السور القرآنية القصار على ((عدد من القواعد للتلفظ بالخطاب وفق ما تقتضيه العلاقة بينه وبين المرسل إليه))([1]) ، فتارة تتدرج حججه في ما يهيئ للإنسان سبل السعادة والرخاء في الدنيا والآخرة على وفق ما يستحق، وتارة أخرى يجسد لنا صورًا مفزعة عن أحداث مغيبة يرتجى من وراها أخذ العبرة والحيطة عند الإقدام على أي عمل في الحياة. ولكل هذه الصور تأثير جلي على ذات المتلقي للنص القرآني.

([1]) استراتيجيات الخطاب: ٩١.

الفصـــل الثالـث: الحجاج البياني في السور القصار.

- توطئة .
- المبحث الأول : التشبيه الحجاجي.
- المبحث الثاني: الاستعارة الحجاجية.
- المبحث الثالث : الكناية الحجاجية

توطئة:

نشأت البلاغة العربية في أحضان الشعر والشعراء قبل مجيء الإسلام فكانت فرشاتهم الجميلة التي يزينون بها كلامهم وشعرهم ، وبعد نزول القرآن على صدر نبينا الأكرم (صلى الله عليه وآله) ومحاولة نشره بين الناس، ساعد هذا الكتاب المقدس المعجز على إثراء اللغة العربية وغيرها بمفردات وتراكيب وعلوم وأخبار جمة ذات أثر دلالي واسع حتى أصبح القرآن الكريم معجزًا من النواحي كلها ولاسيما البلاغية، الأمر الذي جعل العرب يعجزون عن الإتيان بآية من مثله، ولو أمعنا النظر في الأثر الذي جاء به القرآن الكريم نجده على نوعين (جمالي) و (إقناعي)، وقد تضافر هذان النوعان في القرآن الكريم فبرز بأبهى صورة استهوت أسماع الناس وقلوبهم ، فحاول بعضهم محاكاته لتقوية كلامهم العادي أو الإبداعي (الشعر والنثر) ، وذهب آخرون إلى معاداته ومحاولة نقضه؛ خوفًا على مصالحهم وأنظمتهم القائمة.

فالبلاغة هي أول مظهر دال على الوعي اللغوي كمبحث قائم بذاته؛ لتكون شاهدة على التأمل في الموروث اللغوي ، وكانت هذه البداية مرتبطة باستعمال اللغة في الإقناع واستنهاض الهمم من أجل مقاومة الطغيان بقوة الكلمة ([1]) ، فهي بشكل عام لا تفرق بحال من الأحوال بين اللفظ والمعنى ، أو بين الأسلوب والمعنى، فالوسائل البيانية غير بعيدة عن الغاية من الخطاب ، ومن المجافاة للصواب محاولة استخراج الاستعارات والكنايات والتشبيهات من خطاب ما دون محاولة بيان أثرها في ذلك الخطاب ، وأثر الخطاب فيها حجاجيًا ([2]).

وما يهمنا هنا هو البلاغة العربية التي تقوم على أساس إيصال المعاني والأفكار للسامعين عن طريق اعتماد الحجج والبراهين المستعملة في لغة النص ، فأثرها لا يقتصر على عرض الحلية اللغوية والمحسنات البديعية ([3])، بل تتجاوز ذلك إلى عرض الحجج

([1]) ينظر: اللغة بين البلاغة والأسلوبية : ٤٥ .

([2]) ينظر: الحجاج في القرآن الكريم (رؤية جديدة) : ١١.

([3]) ينظر: المصدر نفسه: ١٥.

الإقناعية التي يقصدها المخاطب لأننا ((على يقين من أنَّ البلاغة العربية في مدة التأسيس، وقد قامت على مدونة تجمع أنواعا من النصوص تستجيب لوظائف متعددة تعدد الحاجات الناجمة عن سياقات تاريخية وفكرية ،استدعت نصوصا خاصة ، وعلقت بتلك النصوص ما يسد الحاجة ، قد انتبهت إلى نجاعة القول وبلوغه مقصده من المخاطب ، لا يتوقف على مجرد الحلية اللغوية ، وما يركبه صاحبه من وجوه بلاغية وأساليب بيانية))([1]).

وبناء على ذلك تصبح لدينا إمكانية تعدد قراءة التراث البلاغي عن طريق نقطة الارتكاز التي ننطلق منها ، وزاوية النظر التي على أساسها نختار النصوص التي تبني تلك القراءة سواء أكانت نصوصًا قرآنية أم شعرية أم نثرية ،ونود أن نعود إلى التراث البلاغي لا من أجل باب العبارة والأساليب المحققة لبلاغة النص ، والصور والوجوه التي تُقيم أشكاله ، وتسهل انتشاره لدى المتقبل ، وتضمن له فيه الفعل المرجو ، وإنما لتتبع ما انتهت إليه اللسانيات (التداولية) وبلاغة الخطاب من رد الاعتبار إلى أقسام منه ، تراجعت أمام طغيان الاهتمام بالعبارة كترتيب الأقسام، والاحتجاج، ومختلف الطرق التي ينتهجها صاحب النص ومؤلف الخطاب ليبْلغ غرضه ، ويحمل المخاطب على ما يريد منه ([2]) .

ولا شك في أن علاقة البلاغة بالحجاج علاقة كبيرة اهتم بها القدامى قبل المحدثين ، ونقصد بهم الفلاسفة اليونانيين أمثال أرسطو والسفسطائيين؛ بسبب كثرة المناظرات والمجادلات ، وكذلك المحدثون منهم د. محمد العمري وغيره كثير، ونلاحظ اتفاقهم في بعض الأفكار والآراء المنبثقة عنهم.

وتكمن أهمية الوسائل البلاغية ((فيما توفره للقول من جمالية قادرة على تحريك وجدان المتلقي والفعل فيه ، فإذا أضيفت تلك الجمالية إلى حجج متنوعة وعلاقات حجاجية تربط بدقة أجزاء الكلام وتصل بين أقسامه ، أمكن للمتكلم تحقيق غايته من الخطاب ؛ أي قيادة المتلقي إلى فكرة ما أو رأي معين، وثمة توجيه سلوكه الوجهة التي يريدها له؛ أي أنّ

([1]) من تجليات الخطاب البلاغي : ٨٩.

([2]) ينظر: المصدر نفسه: ٩٠.

الحجاج لا غنى له عن الجمال، فالجمال يرفد العملية الإقناعية ، وييسر على المتكلم ما يرومه من نفاذ إلى عوالم المتلقي الفكرية والشعورية والفعل فيها)) ([١]) ، فالقدامى ربطوا الحجاج بالجمال في منظورهم إلى الشعر وأكدوا أنه ((لا يحبّب إلى النفوس بالنظّر والمحاجّة، ولا يحلى في الصّدور بالجدال والمقايسة ، وإنما بعطفها عليها بالقبول والطلاوة ، ويقربه منها الرونق والحلاوة، وقد يكون الشيء متقنًا محكمًا ولا يكون حلوًا مقبولًا ، ويكون جيدًا وثيقًا وإنْ لم يكن لطيفًا رشيقًا)) ([٢]) .

ونحاول في هذا الفصل تعيين حجاجية الأساليب البيانية في القرآن الكريم وكيف وظف (التشبيه و الإستعارة و الكناية) توظيفًا حجاجيًا؟؛ نظرًا لورود هذه الأساليب بكثرة وخاصة الإستعارة والكناية التي شغلت حيزًا كبيرًا من السور القصار. فالجملة البيانية (تشبيه، إستعارة ، كناية) تعد بمثابة مقدمة قائمة على طرفين وهما طرفا الصورة البيانية ، وفي ضوء هذه الجملة أو المقدمة ينشئ المتلقي جملة تعد مقدمة صغرى قوامها المشبه به أو المستعار منه أو المكنى به ، وبالتالي يصبح الكلام نصفين: منطوقًا من قبل المتكلم ، ومفهومًا من قبل المتلقي([٣]).

وهذا ما سنحاول توضيحه عن طريق استقراء أساليب الحجاج البلاغي التي توشحت بها السور القرآنية القصار ، ذات الأثر الكبير في عملية إقناع المخاطَب وتقوية كلام المخاطِب، إذ تمثل بورودها بؤرة حجاجية متطلبة من لدن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) ؛ لجذب الأنظار والقلوب إلى دين الله وكتابه الكريم.

([١]) تجليات الحجاج في الخطاب النبوي: ١٨٤.

([٢]) الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٠ .

([٣]) ينظر: الحجاج في الخطابة والرسائل في مصر زمن الحروب الصليبية :١٠٤-١٠٥.

المبحث الأول: التشبيه الحجاجي.

التشبيه هو((علاقة مقارنة تجمع بين طرفين ، لاتحادهما أو اشتراكهما في صفة أو حالة ، أو مجموعة من الصفات والأحوال. وهذه العلاقة قد تستند إلى مشابهة حسية ، وقد تستند إلى مشابهة في الحكم أو المقتضى الذهني الذي يربط بين الطرفين المقارنين ، من دون أن يكون من الضروري أن يشترك الطرفان في الهيئة المادية ، أو في كثير من الصفات المحسوسة))([1])، وقد يثار في الذهن سؤال هل أنَّ كل تشبيه أدبي في النص هو تشبيه حجاجي ؟، للإجابة عن ذلك نقول:

إن التشبيه الأدبي يمثل الجوهر الكامن في الصورة البيانية ، حتى وإن لم تكن تشبيهية فعلًا ، فهي كذلك مادامت محتوية على أركان الصورة الأساسية ، التي تشتمل على طرفين مهمين هما المشبه والمشبه به ويجمع بينهما ركن ثالث وهو وجه الشبه([2]) .

ولكن قيمة التشبيه أيضًا لا تدور حول العلاقة بين طرفيه فقط بل هو يعمل على مباغتة المتلقي عن طريق إحداث حركة تفاجئه في شتى المواقف التعبيرية، لذا فإنَّ قيمة التشبيه تُكْتَسَب أيضا من الموقف التعبيري ([3])، فالتشبيه ليس بناءً لفظيًا قائمًا على أطراف من دون معنى ، بل هو يعبر عما في النفس ، ويجعل العقل قادرًا على تقبل العلاقات القائمة بالاعتماد على صور المشابهة المشتملة على الإبداع المتطلب من قبل المخاطِب.

أما التشبيه الحجاجي فله دلالة مؤثرة ؛ بوصفه من العلامات الحجاجية المهمة؛ لأنَّه عادة ما يدعمُ عملية الحجاج ويدفع بها إلى الإقناع من خلال الاعتماد على مجموعة من الوسائل التي تشكل اتصالًا مؤسسًا لحجج مبنية على الواقع ([4]). فهو محاولة تهدف للتأثير

([1]) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب : ١٧٢.

([2]) ينظر: الحجاج في الخطابة والرسائل في مصر زمن الحروب الصليبية :١٠٧.

([3]) ينظر: فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور:٣٠٥.

([4]) ينظر : الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية): ٣٣٦.

عن طريق رسم الشكل وتطوير اللفظ وتدور مهمته حول تقريب المعنى إلى ذهن المتلقي مع تجسيده حيًا، فهو ينقل اللفظ من صورة إلى أخرى على وفق ما يريده المصور([1]).

وبهذا فالتشبيه الحجاجي لا يستعمل ليكون زينة زخرفية تحسينية، بل يراد به إيضاح المعنى لإقناع المتلقي. فهو يعمل على تصوير المعاني وعرضها بصورة تليق بإمكانيات المتلقي الفكرية والنفسية، فـ((المعنى اذا أتاك ممثلًا فهو في الأكثر ينجلي لك بعد أن يحوجك إلى طلبه بالفكرة وتحريك الخاطر له والهمة في طلبه وما كان منه الطف. كان امتناعه عليك أكثر وإباؤه أظهر واحتجابه أشد، ومن المركوز في الطبع أنّ الشيء اذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه ، ومعاناة الحنين نحوه كان نيله أحلى وبالميزة أولى، فكان موقعه في النفس أجل وألطف ، وكان به أضن وأشغف))([2]).

وأما ما يخص مجيء التشبيه في التراكيب القرآنية؛ فهو لتقريب التصوير لذهن المتلقي ليشعر أن هذا الكلام قد تحول إلى عرض مشهد تمثيلي متكامل مع حضور شخوصه أمامه([3])، ((بيد أن نماذجه هناك توافرت لها عناصر فنية أخرى زادت من روعة التصوير وقوة التأثير... من أن قيمة التشبيه البلاغية تتأثر بتشكيله في ذاته ... لاسيما أن التشبيه ظاهرة أسلوبية لا تنفصل بحال عن سائر الظواهر الفنية الأسلوبية))([4])

وعند استقرائنا للسور القرآنية القصار نجدها تتوشح ببعض مفاتن هذا العنصر الجمالية و الإقناعية التي يؤديها للتأثير في المتلقي ، ويظهر هذا العنصر في مواضع عديدة، ومنها :

قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ ﴾([5]) ، شبه الله (عز وجل) الليل باللباس ؛لأن كلًا من الليل واللباس يعمل على ستر صاحبه المتلبس به.

([1]) ينظر : الصورة الفنية في المثل القرآني : ١٦٧.

([2])أسرار البلاغة في علم البيان: ١٠٦.

([3])ينظر: السور القصار في القرآن الكريم (دراسة بلاغية):٨.

([4])التعبير البياني :٨٣.

([5]) النبأ:١٠.

وجاء في تفسير هذه الآية أن الليل غطاء وستر يستر بظلمته وسواده كل شيء([1]). وذكر بعضهم أن : ((المعنيّ من جعل الليل لباساً يحوم حول وصف حالة خاصة بالليل عبر عنها باللباس، فيجوز أن يكون اللباس محمولاً على معنى الاسم وهو المشهور في إطلاقه، أي ما يلبسه الإنسان من الثياب فيكون وصف الليل به على تقدير كاف التشبيه على طريقة التشبيه البليغ ، أي جعلنا الليل للإنسان كاللباس له ، فيجوز أن يكون وجه الشبه هو التغشية. وتحته ثلاثة معانٍ :

أحدها : أن الليل ساتر للإنسان كما يستره اللباس ، فالإنسان في الليل يختلي بشؤونه التي لا يرتكبها في النهار ؛ لأنه لا يحب أن تراها الأبصار ... المعنى الثاني : من معنيي وجه الشبه باللباس : أنه المشابهة في الرفق باللاَّبس والملاءمة لراحته ، فلما كان الليل راحة للإنسان وكان محيطاً بجميع حواسه وأعصابه شُبه باللباس في ذلك ...المعنى الثالث : أن وجه الشبه باللباس هو الوقاية ، فاللَّيل يقي الإنسان من الأخطار والاعتداء عليه ، فكان العرب لا يغير بعضهم على بعض في الليل وإنما تقع الغارة صباحاً ولذلك إذا غِير عليهم يصرخ الرجل بقومه بقوله : يا صَبَاحَاه . ويقال : صَبَّحَهم العَدوُّ))([2]) ، ففي الآية محاولة لبيان أن هذا التتابع البديع في الليل والنهار ، الضياء والظلام ، طلب الرزق ، السكون ، النوم ، الراحة كلها عائدة إلى مقدر ومحرك للأمور ، وموجه ومسيطر . فأين أنت أيها الإنسان مما تقدم ؟وهل لما تعبده من دون الله القدرة على تحقيق كل ذلك ، فهذه الآية تدعو كل من يشك بوجود الله إن عليه العودة لنفسه والتفكر وتتبع آيات الله المحكمات، وبديع خلقه ، وتقديره للأشياء علّه يعود إلى طريق الرشد والصلاح. فجاء التشبيه الحجاجي في النص معتمدًا على الجانب المعنوي للألفاظ (الليل ، لباسًا) لما لها من أثر في ذات المتلقي وإشعاره بعظيم نعم الله عليه.

([1]) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن:١٨٤.

([2]) التحرير والتنوير :٣٠/٢٠-٢١.

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ۝٢٠ ﴾([1]) فقد شُبهت الجبال بالسراب و((الجامع أنَّ كلًا من الجبال يُرى على شكل شيء وليس هو بذلك الشيء))([2]) ، فبينّ بعضهم أن قوله تعالى :﴿ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ هو أن الجبال نُسفت فاجتثت من أصولها، فأصبحت هباءً منثورًا لعين الناظر، فهي كالسراب الذي يظنّ من يراه من بعيد أنه ماءٌ ، وهو في حقيقته وهم ([3]) ، وتشترك مع هذا المعنى معانٍ أخرى مشتركة في آيات متفرقة من القران الكريم وقد أشار الطباطبائي في تفسيره إلى ذلك بقوله: و((بيان ذلك: أن تسيير الجبال و دكها ينتهي بالطبع إلى تفرق أجزائها و زوال شكلها كما وقع في مواضع من كلامه تعالى عند وصف زلزلة الساعة و آثارها إذ قال: ﴿ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرًا ۝١٠ ﴾([4])، و ﴿ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ۝١٤ ﴾([5]) ، و ﴿ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا ۝١٤ ﴾([6]) ، و﴿ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ۝٥ ﴾([7]) ، و﴿ وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ۝٥ ﴾([8]) ، و﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ۝١٠ ﴾([9]) فتسيير الجبال و دكها ينتهي بها إلى بسها و نسفها و صيرورتها كثيبا مهيلا، وكالعهن المنفوش كما ذكره الله تعالى و أما صيرورتها سرابا بمعنى ما يتوهم ماء لامعا ، فلا نسبة بين التسيير و بين السراب بهذا المعنى. نعم ينتهي تسييرها إلى انعدامها و بطلان كينونتها و

([1]) النبأ:٢٠.

([2])أساليب البيان في القرآن: ٢٥٩

([3]) ينظر: تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن):٢٠/٢٤.

([4]) الطور:١٠.

([5]) الحاقة:١٤.

([6]) المزمل:١٤.

([7]) القارعة:٥.

([8]) الواقعة:٥.

([9]) المرسلات:١٠.

حقيقتها بمعنى كونها جبل فالجبال الراسيات التي كانت ترى حقائق ذوات كينونة قوية لا تحركه العواصف تتبدل بالتسيير سرابا باطلا لا حقيقة له، ونظيره من كلامه تعالى قوله في أقوام أهلكهم و قطع دابرهم، ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾(١) ،وقوله:﴿ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾(٢) ،و قوله في الأصنام ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾(٣) فالآية بوجه كقوله تعالى:﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾(٤) – بناء على كونه ناظرا إلى صفة زلزلة الساعة –))(٥) فالخطاب القرآني لا لا يقف عند زمان ومكان واحد _والمقصود هنا زمن نزول القران الكريم_ فهو خطاب مستمر في كل الأزمان وهذا ما جعل منه خطابًا كونيًا لجميع الناس ، وكذا الحال مع التشبيه الحجاجي فهو مطلق عام وهذا ما أدى إلى فاعليته الإقناعية لكونه مؤثرًا من خلال دوره الفعال في الرؤية التأملية التأويلية(٦).

وورد التشبيه الحجاجي في موضع آخر في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝٢٤ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦﴾(٧) التشبيه الوارد في هذه الآيات المباركة كسابقه من باب التشبيه البليغ وهو قوله تعالى: (فختامه مسك) أي طيب

---

(١) سبأ:١٩.

(٢) المؤمنون:٤٤.

(٣) النجم:٢٣.

(٤) النمل:٨٨.

(٥) الميزان في تفسير القرآن :١٦٦/٢٩-١٦٧.

(٦) ينظر: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي :١٧١-١٧٢

(٧) المطففين:٢٢-٢٦.

الرائحة كالمسك فجاءت الآية مشتملة على صورة حجاجية جميلة عملت على استمالة المتلقي وإقناعه بالفرق الشاسع بين الكفر والإيمان وكيف هي عاقبة المؤمنين الأبرار.

وقد وردت رواية تفسر هذه الآيات المباركة مفادها أن المقصود هنا النبي محمد(صلى الله عليه وآله) وآلِ بيته الأطهار فقد كرمهم الله ورزقهم منزلة رفيعة ولهم الحظوة الكبرى هم ومن تبعهم عند الله عزّوجلّ ((قال علي بن إبراهيم في قوله: (كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين) أي ما كتب لهم من الثواب، قال حدثني أبى عن محمد بن إسماعيل عن أبي حمزة عن أبي جعفر (عليه السلام) قال إن الله خلقنا من أعلى عليين ، وخلق قلوب شيعتنا مما خلقنا منه وخلق أبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوى إلينا؛ لأنها خلقت مما خلقنا منه ثم تلا قوله: كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين – إلى قوله – يشهده المقربون (يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك) قال ماء إذا شربه المؤمن وجد رائحة المسك فيه، وقال أبوعبدالله عليه السلام: من ترك الخمر لغير الله سقاه الله من الرحيق المختوم، قال يا بن رسول الله من ترك الخمر لغير الله؟ قال نعم والله صيانة لنفسه (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) قال: فيما ذكرنا من الثواب الذي يطلبه المؤمن)) (١)، فمن وقى نفسه من عمل الموبقات رزقه الجنة بما فيها من طيب ورياحين وأبدله برحيق الجنة المختوم عن خمر الدنيا المنبوذ تعويضًا لصبره على طاعة الله واجتناب معصيته.

كما جاء التشبيه الحجاجي أيضًا في سورة القارعة في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ ﴾(٢). ورد في هاتين الآيتين تشبيه متمثل بتحول الناس إلى فراش مبثوث والجبال إلى عهن منفوش في يوم القيامة ، فيبدأ المشهد بعرض حال الناس في ذلك اليوم ، بما يشتمل عليه من خوف وتهويل وتقريع لأسماعهم، بحيث أصبحوا مضطربين ولا يستطيعون السيطرة على أنفسهم ، ولا يعرفون ما ينتظرهم من مصير، ولم يطيروا قبل ذلك (٣) ((في أجواء الفضاء كما يتطاير

---

(١) تفسير القمي :٣/١١٤١-١١٤٢.

(٢) القارعة:٤-٥.

(٣)ينظر: السور القصار في القران الكريم(دراسة بلاغية):١٠.

الفراش، ويحوم في كل مكان))([1]) ، كالشخص الذي يسير ولا يعلم إلى أين هو ذاهب ، جل ما يعرفه أنه جاء إلى هذا المكان بعد استيقاظه من نوم عميق أثر حادث مفزع ، وهذا بدوره أدى إلى تشبيه الناس ([2])((بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير إلى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش إلى النار))([3])، والفَراشُ هو((دواب مثل البعوض تطير، واحدتُها فراشةٌ والفراشة: التي تطير وتهافتُ في السُرَاج...، قال الزجاج... ما تراه كصغار البق يتهافت في النار ، شبَّه الله عزوجل الناس يوم البعث بالجراد المنتشر وبالفراش المبثوث؛ لأنهم إذا بعثوا يموج بعضهم في بعض كالجراد الذي يموج بعضه في بعض))([4])، فالصورة الواردة هنا تتوافق مع صورة أخرى في قوله تعالى:﴿**خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ** ۝٧﴾([5])، وهذه الصورة تدل على تذلل الناس واحتقارهم أمام عظمة الباري([6])، وجاءت لفظة(مبثوث) تؤكد حالهم الذي هم فيه فالباء والثاء في (مبثوث) من أصل واحد والمراد به هو تفريق الشيء وإظهاره ، ويقال: بثوا الخيل في الغارة ([7])، وكذلك يتبين لنا أن الجبال تفقد خاصيتها الدنيوية بعدما كانت عالية صلبة تتحول إلى صوف ملون متفرق ومتطاير جراء القرع الذي حلّ بها ([8]) "**وتكون الجبال كالعهن المنفوش**" ، فالنفش هو((فك الصوف حتى ينتفش بعضه عن بعض ... وإنه سبحانه يفرق أجزاءها ويزيل التأليف والتركيب عنها ،فيصير ذلك مشابهًا للصوف الملون بالألوان المختلفة

([1])المشاهد في القرآن الكريم(قنيبي):١٦٣.

([2])ينظر: السور القصار في القران الكريم (دراسة بلاغية):١٠.

([3])الكشاف:١٢١٨/٣٠.

([4]) لسان العرب (فرش):٣١٧/٨.

([5]) القمر:٧.

([6]) ينظر: السور القصار في القران الكريم (دراسة بلاغية):١٠.

([7])ينظر: كتاب العين مادة(بث): ١١٢/١.

([8])ينظر: السور القصار في القرآن الكريم :١٠

إذا جعله منفوشًا))[١]، ووردت آيات أخرى في مواضع أخرى ترمز للصورة نفسها ، واختلاف الوان الجبال فمنها حمر وبيض ومنها شديدة السواد قال تعالى:﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾[٢]، وقوله: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾[٣] فهذه الآيات تحمل تصويرًا مخيفًا لتطاير الجبال يوم القيامة كتطاير الصوف أو تعرضها لعملية النسف وظن الإنسان أنها ساكنة لا تتحرك لكنها تمر مر السحاب فتتحول بلحظة هباءً منثورًا متطايرًا. فما أحوج الإنسان في يوم القيامة إلى ثقل موازينه لئلا يكون كالفراش المبثوث في خفته ولا يكون كحال الجبال الثقال التي تتحول إلى هباء متطاير ، فهذه الآيات تقذف في قلب الإنسان الرعب والخوف فقد أعطت تشبيها حجاجيا مؤثرًا في المتلقي، ورسمت مشهدًا تهتز له القلوب وكأن كل شيء صار هباءً منثورًا.

ونجد مشهدًا تشبيهيًا آخر يحمل معاني الحرب وكيف هي عاقبة من يتجاوز حدود الله، قال تعالى :﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾[٤].

فيبدأ المشهد بالاستفهام بقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴾ و هو يعد تمهيدًا لتشكيل الصورة التي تحدثت عن مجموعة أحداث سريعة ومتلاحقة عملت على رسم صورة لمعركة سريعة ، فبمجرد مجيء أصحاب الفيل إلى بيت الله الحرام حتى

([١])التفسير الكبير: ٧٢/٣٢، وينظر الكشاف: ١٢١٨/٣٠.

([٢]) طه:١٠٥-١٠٧.

([٣]) النمل:٨٨.

([٤])الفيل: ١-٥.

تبدأ الحرب سريعًا ، التي ما إن بدأت حتى انتهت بصورة خاطفة بمجيء الهجوم الجوي المتمثل بالطيور(١) ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾، وينتهي ذلك المشهد بمصير مخزي ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾، وهنا يظهر التشبيه الحجاجي في أنهم أصبحوا كالزرع المأكول الذي راثته الحيوانات ((والمراد كروث إلا انه لم يذكر بهذا اللفظ لهجنته فجاء على الآداب القرآنية فشبه تقطع أوصالهم بتفرق أجزاء الروث ففيه إظهار تشويه حالهم ... كتبنٍ في الصحراء تفعل به الدواب ما شاءت لعدم حافظ له))(٢) فتشوهت أجسادهم جراء ما وقع بهم من عقوبة مشينة ((وتفرق آداب أبدانهم بها، بتفرق أجزاء الروث الذي حدث عن أكل الزرع))(٣).

وبهذا نجد التشبيه الحجاجي الوارد في السور القرآنية القصار من العناصر المهمة التي تبرز الكثير من المعاني ذات الدلالات الموحية والمؤثرة في نفوس المتلقين بصورة جميلة وفعالة خاصة وأنَّه جاء في كتاب عجزت العرب عن الإتيان بمثل بلاغته وإعجازه.

---

(١) ينظر: السور القصار في القرآن الكريم :١٣.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٢٣٧/٣٠ ، ويقصد بالعصف حُطام التبن ودقاقه. ينظر: أساس البلاغة: (عصف): ١٢٠/٢-١٢١.

(٣)جامع البيان في تأويل آي القران: ٣٠٤/٣٠.

المبحث الثاني: الاستعارة الحجاجية.

تقوم الاستعارة على حذف أحد طرفي التشبيه مع حذف الأداة ووجه الشبه ، مما يثير خيال المتلقي ، ((فالاستعارة تفترق عن التشبيه في كيفية إثبات معنى من المعاني أو حكم من الأحكام))[١] . وانطلاقا من هذا يمكننا أن نضع درجات للإثبات يكون في أسفلها التشبيه ، وفي أعلاها الاستعارة تبعًا لشدة الإثبات وقدرة الشاعر أو الكاتب على تحقيقه ، ومن هنا أصبحت الاستعارة إدعاءَ، ولكنها تتجاوز المماثلة والمشابهة التي يقوم بوضعها التمثيل بعد أن يحل طرف الاستعارة محل أخيه، ويدعي أن هذا قد أصبح عين ذاك ، ومن ثم يقوم مقامه [٢]، ولا يقف الأمر عند التفريق بين التشبيه والاستعارة ، فلابد من التفريق بين الاستعارة البديعية وبين الاستعارة الحجاجية في إقناع المتلقي بحكم ما أو برأي معين.

فالاستعارة الحجاجية تعمل على إحداث تغيير في الموقف العاطفي أو الفكري للمتلقي النص[٣] ، بينما الاستعارة البديعية هي التي تكون مقصودة لذاتها ، أي غير مرتبطة بمقاصد المتكلمين وأهدافهم الحجاجية كالاستعارات التي نلاحظها عند الأدباء وعند الفنانين ، الذين يهدفون إلى إظهار تميزهم وتمكنهم في اللغة عن طريقها، فالسياق المتمثل عندهم هو سياق الزخرف اللفظي ، والتفنن الأسلوبي ، لا سياق التواصل والتخاطب [٤] .

وهناك من ذهب إلى مزجهما ، وعدّ الاستعارة البديعية حجاجية أيضا إذا تجاوزت وظيفتها الجمالية إلى مجال التأثير في المتلقي وإقناعه بما تحمله ضمن السياق الذي نظمت فيه ، فالحجاج لا يعمل بمعزل عن الجمال والمجاز كذلك[٥] ،إذ((لا حجاج من دون مجاز))[٦] ، وعند تتبعنا للاستعارات الواردة في القرآن الكريم نجدها تجمع بين الاستعارة البديعية والاستعارة الحجاجية.

---

(١) أساليب البيان في القرآن :٥١٨.

(٢)ينظر: المصدر نفسه: ٥١٨-٥١٩.

(٣)ينظر: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي:١٧٨.

(٤)ينظر: اللغة والحجاج :١٠٩.

(٥)ينظر: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي :١٧٨.

(٦)اللسان والميزان أو التكوثر العقلي :٢١٣.

وتعمل الاستعارة حجاجيًّا بالاعتماد على عملية الاستبدال بجعلها حركة يتم عن طريقها بيان شيء، ومن ثمَّ تزول الحالة التي يكون فيها المتكلم قاصرًا عن إداء مقصده مشيرًا إلى مكان تنبئي يستهدف فيه مقاصده إلى وقت تحققها ، فيكون بذلك قد أقنع وأفهم[١]. وبهذا فإن الوصف الصريح للعلاقة الاستعارية يكشف عن آليات حوارية وحجاجية وعملية تدل على ماهية الحجاج [٢]؛ لأن التأثير فيما يتحقق بالتخييل واستتار الأول (المستعار منه) وظهور الثاني (المستعار له) مجددٌ للأول شكلًا أو معنى أو وظيفة ، وعلى أساس ذلك جعلت الاستعارة الجمادات ناطقة والمعنويات حسية، لتكون مؤثرة في الخطاب؛ حتى تدفع بالمتلقي إلى الاقتناع بما طُرِح[٣] ، ف((الاستعارة بوصفها تمثيلًا مركبًا من تخييل وتصوير هي شكل خطابي يدفع بالحجة إلى مستوى لا يتحدد معه ميزان لمعرفة قيم الحقيقة، فيقع البرهان بسلطة لا تنقضي))[٤] ، لذا أصبح أثرها فعالًا ومؤثرًا وذا انفرادية في التركيز القائم على المعنى بعيدًا عن الأطناب الاستطرادي ، فهي مغايرة لأنواع البيان الأخرى ، لاتسامها بالعمق الذي يسهم فيه الخيال بصورة فعالة ؛ لأن براعة التركيب الجملي _ الذي تتميز فيه_ يتناول المعاني بطريقة مبتكرة لغرض التأثير في المتلقي عن طريق إظهار السطوع الدلالي المذهل للمخاطب، الذي ينتج عنه تحرك ذهني مشع وقدرة على التقاط المعاني وتوضيحها[٥] .

وقد وردت الاستعارة كثيرًا في النص القرآني في سياق السور القصار وفقًا لما تلقيه من حجاج على المتلقي للخطاب القرآني، وما يهمنا هنا هو إظهار القوة الحجاجية الاقناعية للاستعارة ، ولا يعني إهمال التقسيمات الأساسية التي وضعها البلاغيون والنقاد.

([١])ينظر: الفلسفة والبلاغة مقاربة حجاجية : ١٥٧ .

([٢]) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : ٣١٣.

([٣])ينظر: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي : ١٨١.

([٤])الفلسفة والبلاغة مقاربة حجاجية : ١٥٩.

([٥])ينظر: أساليب البيان العربي في السور المئين : ١٥٣.

قال تعالى: ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ ﴾[١] ، يتضح في الآية أن للصباح خاصية التنفس وهي لازمة من لوازم الإنسان، وقد وردت هذه الآية بمعنى أن (والصبح إذا تنفس) يقابله ظهور الإسلام، وأنّه سينتشر كانتشار ضوء النهار، ولن تستطيع قوة قط على حجبه، وسيعم الآفاق كلها، مهما حالوا دون ذلك [٢]، بدليل قوله تعالى:﴿ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾[٣]. وقد وردت الآية بمعنى آخر بأن المقصود بها هو صلاة الوتر، روي عن الإمام علي (عليه السلام)((بعد ما أذّن المؤذّن بالصبح، فقال:﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ أين السائل عن الوتر؟ قال: نعم ساعة الوتر هذه))[٤]، فالباري لا يعجزه أن يعبّر عن ظهور الإسلام وعن صلاة الوتر بصورة صريحة ، لكن الاستعارة الواردة تلقي بأشعتها على المتلقي لتكون شديدة الأثر؛ لتحدث الإقناع والتأثير بصورة حجاجية إقناعية.

ومن الصور التي وردت فيها الاستعارة الحجاجية قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ ﴾[٥] ، فالطارق أصله ((الدق ومنه المطرقة. قالوا: إنما سمي الآتي بالليل طارقًا ، لأنه يأتي في وقت يحتاج فيه إلى الدق أو ما يقوم مقامه للتنبيه على طروقه ، والإيذان بوروده))[٦] ،فقوله تعالى: ﴿**النجم الثاقب**﴾ الوارد في النص القرآني قد فصلّته لفظة (الطارق) ، فـ((الثقب : خرق شيء ملتئم، وهو هنا مستعار لظهور النور عن طريق ظلمة الليل شبه النجم بمسمار أو نحوه، وظهور ضوئه

---

(١) التكوير: ١٨.

(٢)ينظر: تتمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : مج٢/ج٩/٧٣.

(٣) الصف: ٨

(٤) تفسير الطبري: ج٢٤/١٦٠-١٦١.

(٥) الطارق:١-٣.

(٦)تلخيص البيان في مجازات القرآن: ٣٦٣.

بظهور ما يبدو من المسمار عن طريق الجسم الذي يثقبه مثل لوح أو ثوب وأحسب أنّ استعارة الثقب لبروز شعاع النجم في ظلمة الليل من مبتكرات القرآن))[١] ، فهناك ارتباط وثيق بين لفظتي (الطارق) _على وجه الإجمال_ و(النجم الثاقب) _على وجه التفصيل_ ومجيء قوله تعالى: ﴿**وما أدراك ما الطارق**﴾ تفخيمًا لمن أقسم به وتأكيدًا لتفصيل ما أجمل به[٢]، وبهذا ظهرت لنا استعارة حجاجية ذات دلالة موحية ومؤثرة متمثلة بلفظة (الطارق)، التي تعبر عن عنصر الإجمال و (النجم الثاقب) المعبر عن عنصر التفصيل عن طريق السياق القرآني .

ولا تقف الاستعارة الحجاجية عند هذا الحد من الآيات فمن الطبيعي أن تظهر كثير من الاستعارات الحجاجية في قصار السور لتنشط عملية التصوير القرآني، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:﴿**هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ۝٣ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ۝٥ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ۝٦ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ۝٧**﴾[٣] فقد وردت قيمة الاستعارة الحجاجية بتوظيفها لقوله تعالى:﴿ **لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ** ﴾ في سياق وصف طعام أهل النار و هو (الضريع) وقيل إنّه: ((نوع من الشوك يقال له: الشبرق وأهل الحجاز يسمونه الضريع إذا يبس وهو أخبث طعام وأبشعه لا ترعاه دابة، ولعل تسمية ما في النار به لمجرد المشابهة شكلًا وخاصة))[٤] ، وذلك لإقناع المخاطب بضرورة أخذ العبرة من هذا المثل الوارد في القرآن الكريم. فضلًا عن هذا فقد عمقت هذه الآية (لا يسمن ولا يغني من جوع) البعد الحجاجي للنص، عن طريق

---

(١) التحرير والتنوير:٣٠/٢٩٥.

(٢)ينظر: السور القصار في القرآن الكريم٢٢.

(٣) الغاشية:١-٧.

(٤) الميزان في تفسير القرآن: ٣٠/٢٧٣.

اعتمادها فاعلية التصوير والتأثير باتجاهها إلى إضفاء المؤثرات الذهنية التي عملت على رسم مشهدٍ يصف حال أهل النار وما آلت إليه أحوالهم [١].

وليس ببعيد عن لفظة الأكل في الآية السابقة ، قوله تعالى : ﴿ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾[٢]، وردت الاستعارة في قوله تعالى:﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ﴾ التي حملت معاني عديدة منها ما يحيل للمعنى الحقيقي (الأكل) ومنها ما يحيل إلى (الأخذ الإجباري للإرث) وجاءت لفظة (لما) لتؤكد المعنى المراد من الآية واللمم ((أكل الإنسان نصيب نفسه و غيره و أكله ما يجده من دون أن يميز الطيب من الخبيث، و الآية تفسير لعدم إكرامهم اليتيم))[٣]، ولا يقف معنى الآية عند هذا الحد، فهناك من بيّن سبب أكل الناس لمال اليتيم على أنه كان من باب الابتلاء الرباني من ناحية المنع والعطاء يقول سيد قطب: ((إنّكم لا تدركون معنى الابتلاء فلا تحاولون النجاح فيه ، بإكرام اليتيم والتواصي على إطعام المسكين ، بل أنتم على العكس تأكلون الميراث أكلاً شرهاً جشعاً؛ وتحبون المال حباً كثيراً طاغياً ، لا يستبقي في نفوسكم أريحية ولا مكرمة مع المحتاجين إلى الإكرام والطعام. ... وهي سمة الجاهليات في كل زمان ومكان! حتى الآن! وفي هذه الآيات فوق الكشف عن واقع نفوسهم ، تنديد بهذا الواقع، وردع عنه ، يتمثل في تكرار كلمة { كلا } كما يتمثل في بناء التعبير وإيقاعه ، وهو يرسم بجرسه شدة التكالب وعنفه))[٤]، وهنا جاءت الاستعارة الحجاجية لتدلي بأنّ الإحساس بالفكرة عن طريق (وتأكلون التراث) عن طريق حاسة التذوق يكون مؤثرًا ومقنعًا أكثر؛ نتيجة لرسم

([١])ينظر: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي : ١٨٥

([٢]) الفجر:١٧-٢٠.

([٣]) الميزان في تفسير القرآن: ٣٨٣/٣٠.

([٤])في ظلال القرآن : ٣٦/٨.

الصورة للمتلقي عن طريق حاسة (التذوق) ، ولا تقف الاستعارة الحجاجية هنا فقط بل كان لها القدرة على رسم صورة ثانية للواقع الذي يعتاشه المرء.

وأيضًا جاء في سورة الفجر آيات أخرى متضمنة للإستعارة الحجاجية في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤﴾[١] وردت الاستعارة الحجاجية ضمن السياق القرآني في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ متوافقةً مع الآيات التي تسبقها بالفاصلة الدالية ، وفي هذه الآيات عرض لحال الأمم الطاغية (عاد ،وفرعون، وثمود) الذين عاثوا في الأرض فسادًا ، فلم تدم لهم بهرجة الظلم والطغيان حتى أرسل الله عليهم العذاب ، وهذه الصورة القرآنية جاءت لأخذ العبرة مما آلت إليه أحوال الأمم الظالمة ، وكيف جعل الله لها ميقاتًا تُعذب فيه. فالعذاب نتيجة طبيعية لطغيانهم ويُذكَر ((عقابهم الأليم وبعبارة موجزة:﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾، فـ«السوط»: هو الجلد المضفور الذي يُضرب به، وأصل السوط: خلط الشيء بعضه ببعض، وهو هنا كناية عن العذاب، العذاب الذي يخلط لحم الإنسان بدمه فيؤذيه أشدّ الإيذاء))[٢] ودائما ما نستعمل لفظة (السوط) عند الطبخ أي لخلط الطعام بعضه ببعض جيدًا لتتجانس مواده.

جاء في كلام أمير المؤمنين(عليه السلام) عن وصف حال المُمتحن في الدنيا أو في الآخرة : « والذي بعثه بالحقّ لتُبَلْبَلُنَّ بَلبلةً ولتُغَرْبَلُنَّ غَربلةً ولتُسَاطُنَّ سَوْطَ القِدْرِ»[٣]. وألفاظ

---

(١)الفجر:٦-١٤.

(٢)الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل:٢٩/٢٤٦.

(٣) نهج البلاغة ، خطبة ١٦: ١١٩-١٢٠.

العذاب جاءت ذات جرس يوحي بالخوف والرهبة ، بدليل قوله تعالى: «صبّ عليهم»: فهي ((تستعمل في الأصل لانسكاب الماء، وهنا إشارة إلى شدّة ... نزول العذاب، ويمكن أن يكون إشارة لتطهير الأرض من هؤلاء الطغاة أمّا أنسب معاني «السوط» فهو المعروف بين النّاس به))[١]، ويقصد بالمرصاد: ((المكان الذي يقوم به الرصد ويترقبون فيه مفعال من رصده كالميقات من وقته وفي الكلام إستعارة تمثيلية شبه كونه تعالى حافظًا لأعمال العصاة [...] مترقبًا لها ومجازيًا على نقيرها وقطميرها* بحيث لا ينجو منه سبحانه أحد منهم بحال من قعد على الطريق مترصدًا لمن يسلكها ليأخذه فيوقع به ما يريد))[٢] ،وقد ورد في معنى الآية عن الإمام علي(عليه السلام) قوله: «إنّ ربك قادر على أن يجزي أهل المعاصي جزاءهم»[٣]. وعن الإمام الصادق(عليه السلام)، أنّه قال: «المرصاد قنطرة على الصراط، لا يجوزها عبد بمظلمة عبد»[٤]. ويروى عن النبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)، أنّه قال: ((أخبرني الروح الأمين أنّ اللّه لا إله غيره إذا وقف الخلائق وجميع الأولين والآخرين، أتى بجهنّم ثمّ يوضع عليها صراط أدق من الشعر وأحدُّ من السيف، عليه ثلاث قناطر... الأُولى: الأمانة، والرحم، والثّانية: عليها الصلاة، والثّالثة: عليها عدل ربّ العالمين لا إله غيره، فيكلّفون الممر عليها، فتحبسهم الرحم والأمانة، فإن نجوا منها حبستهم الصلاة، فإن نجوا منها كان المنتهى إلى ربّ العالمين جلّ ذكره، وهو قول اللّه تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ**﴾[٥]. وعن الإمام علي(عليه السلام): «ولئن أمهل اللّه الظالم فلن يفوت أخذه، وهو له بالمرصاد، على مجاز طريقه، وبموضع الشجى من مساغ ريقه»[٦].

---

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل:٢٤٦/٢٩.

(٢) روح المعاني: ١٢٥/٣٠، وينظر: الكشاف: ١٢٠٠/٣٠.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٢٧١/١٠.

(٤) المصدر نفسه:٢٧١/١٠.

(٥) تفسير نور الثقلين، ٥٧٢/٥.

(٦)نهج البلاغة، الخطبة ٩٥: ٢٦٥

فالرصد نتيجة طبيعية لأعمالهم المخزية ، ولبيان أن لكل منا ميقاتًا يُحاسب فيه كلٌ بحسب عمله ، فالقدرة الإلهية تحيط بكل الطغاة والمتجبرين لا يحدّها شيء في الأرض ولا في السماء ، فالآية تشير إلى أنواع العذاب الذي أصابهم وتحذر كل من يفكر أن يحذو حذوهم عن طريق الاستعارة الحجاجية التي تكشف عن رؤية بعيدة المدى، فمن أذنب و اقترف الفواحش ذهب به فعله لدار البوار والهلاك ؛ لأنه لا يوجد فعل من دون رد فعل مماثل له وهو الرصد وإن طال الأمد.

فالنفس مصدر الخير والشر، وهي التي تُسيير الإنسان في بعض الأحيان إن لم يردعها، وهناك مرتكزان يدعمان الآية السابقة في سورتي (الشمس) و(البلد)وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾[1] ففي المقطع الأخير من سورة الشمس ذكر لقوم «ثمود» بعدّهم أحد الأقوام التي طغت وتمردت على خالقها، وذلك كله بسبب ترك تزكية نفسها والميل لهاوية الشقاء الأبدي.

فإنَّ قوله تعالى:﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾ هي صورة عن استعارة حجاجية تعبر عن مكنونات النفس، وما تحمله من تقوى ومن فجور ، عن طريق اعتمادها على مرتكزات عديدة تؤهلها للمراتب العليا أو تهبط بها للمراتب الدنيا المنبوذة، والإلهام هو: ((مصدر ألهم، وهو فعل متعد بالهمزة ولكن المجردَ منه مُمات، والإلهام اسم قليل الورود في كلام العرب، ولم يذكر أهل اللغة شاهداً له من كلام العرب. ويطلق الإلهام إطلاقاً خاصاً على حدوث علم في النفس من دون تعليم ولا تجربة ولا تفكير ، فهو علم يحصل من غير دليل سواء ما كان منه وجدانياً كالانسياق إلى المعلومات الضرورية والوجدانية، وما كان منه عن

([1]) الشمس:١-١٠.

دليل كالتجريبيات والأمور الفكرية والنظرية .وإيثار هذا الفعل هنا ليشمل جميع علوم الإنسان))[١].

والمعنى هنا: إنَّ النفس تدرك ما هي مجبولة عليه نحو الأمور النافعة كطلب الرضيع الثدي أول مرة بعد ولادته، وكذلك اتقاء الضار كالفرار مما يُكره ، كل هذه الأمور تؤهل الإنسان إلى أول مراتب الاكتساب بالتفكر العقلي ،ولولا العقل لما تيسر فهمه للفجور والتقوى وللعقاب والثواب، وكل ذلك يعرف بأنه إلهام [٢]، وهناك علة حجاجية للناس في تقديم الفجور على التقوى؛ وذلك لمراعاة المخاطبين في هذه السورة المباركة وهم المشركون الذين كانت أكثر أعمالهم منبعها الفجور والشرك ،على خلاف صفة الثلة القليلة من المسلمين أنذاك وهي التقوى التي تمثلت بها أعمالهم ، فالاستعارة الحجاجية تتمثل في إلهام الباري للإنسان صفتي التقوى والفجور، ومنحه القدرة على التمييز بينهما ، وجعله القادر على رسم مصيره بيديه سواء أكان باختيار ما هو حسن أم ما هو قبيح مع عدم إغفال المسأله الأهم وهي تزكية النفس.

والمرتكز الآخر الذي يعبر عن كون النفس البشرية مصدر الخير والشر قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾[٣] ، فنجد الاستعارة الحجاجية متمثلة في ﴿ وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ أي إنَّ الله أودع النفس البشرية طريقين هما طريق الخير، وطريق الشر وقَرن ذلك بالهداية لهما، فتبعًا للآيات السابقة وما جاء فيها من حديث عن الغفلة والطغيان ، تذكر هذه الآيات المباركة جانباً مهمًا من نعم الله المادية والمعنوية من أجل التفكر في عظمة الخالق ومقابلة النعم الإلهية بالشكر والامتنان،فقال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ

(١) التحرير والتنوير :٣٠/٣٦٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه:٣٠/٣٧٠.

(٣) البلد:٤-١٠.

﴿ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴾ فهنا ذكر الباري عظمة النعم التي مَنّ بها على عباده وهي نعمة (العين واللسان والشفة) ونعمة كبرى تفوق هذه النعم هي نعمة الهداية للخير وللشر.

وروي عن أمير المؤمنين علي(عليه السلام) أنّه قيل له: ((إنّ أُناساً يقولون في قوله (وهديناه النجدين) أنّهما الثديان (أي ثديا الأُم) فقال: لا، هما الخير والشرّ))[1]، فعبارة (وهديناه النجدين) لما لها من مدلول على أمر حرية واختيار الإنسان، فهي لها مدلول آخر وهو ((ما يتطلبه طريق الخير من جهد وعناء، لأنّ «النجد» مكان مرتفع، وتسلق المكان المرتفع يتطلب كداً وسعياً وجهداً، غير أن طريق الشرّ له مشاكله ومصاعبه أيضاً، فأولى بالإنسان أن يبذل الجهد والسعي على طريق الخير. مع ذلك، فانتخاب الطريق بيد الإنسان... الإنسان هو الذي يتحكم في عينه ولسانه فيم يستعملها... في الحلال أو الحرام، وهو الذي يختار إحدى الجادتين الخير أو الشر))[2] .

ففي الحديث القدسي أنَّ الله سبحانه وتعالى يخاطب فيه خلقه يقول: ((يا ابن آدم إن نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فاطبق، وإن نازعك بصرك إلى بعض ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فاطبق...))[3] فالباري عز وجل ذكر هذه النعم[4] دون غيرها لأهميتها الكبرى ورزق الإنسان فوقها الهداية من أجل السيطرة عليها وتوظيفها فيما ينفعه حتى يكون هذا الأمر حجة عليه عند المسألة والحساب ، وحقًا ما قاله الإمام علي (عليه السلام): ((اعجبوا لهذا الإنسان ينظر بشحم ويتكلم بلحم، ويسمع بعظم،

([1]) مجمع البيان في تفسير القرآن :١٠/٢٨٠.

([2])الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢٩/٢٦٤.

([3])نور الثقلين :٥/ ٥٨١.

([4]) فالعين واحدة من هذه النعم التي ((تلتقط الصور طوال عمر الإنسان دون أن تحتاج إلى تعويض شيء، ويعود السبب إلى أن الشبكية التي تنعكس عليها الصور تحتوي على نوعين من الخلايا «المخروطية»، و «الإسطوانية » فيها مادة حساسة للغاية تجاه النور تتحلل بأقل شعاع من نور في الشبكية وتتحول إلى أمواج تنتقل إلى الدماغ، ثمّ يزول الأثر وتستعد الشبكية لإلتقاط صور جديدة...)) (بحوث عن العين واللسان والنجدين) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٢٩/٢٦٦.

ويتنفس من خُرم))[١]، ومع هذا فالإنسان جاحد لهذه النعم التي سيحاججه الله بها أمام الأشهاد يوم الورود ، فضلًا عن هذا فالهداية هي هداية العقل والجوارح للتفكر والتأمل في جميل صُنع الله ، قال تعالى:﴿ **إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** ۝٣ ﴾[٢]، فالاستعارة الحجاجية ترمز _والله العالم_ إلى كون ((هذا دليلاً على سبب مؤاخذة أهل الشرك والتعطيل بكفرهم في أزمان الخلو عن إرسال الرسل على أحد القولين في ذلك بين الأشاعرة من جهة، وبين الماتريدية والمعتزلة من جهة أخرى))[٣] .

ويدعم الاستعارة الحجاجية السابقة في السورة نفسها، قوله تعالى: ﴿**فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ** ۝١١ **وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ** ۝١٢ **فَكُّ رَقَبَةٍ** ۝١٣ **أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ** ۝١٤ **يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ** ۝١٥ **أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ** ۝١٦ ﴾[٤] فالاستعارة متمثلة في قوله تعالى: ﴿**فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ** ﴾ ويقصد بالاقتحام: ((قَحَمَ الرَّجلُ في الأمر يَقْحُم قُحومًا واقتَحَمَ وانقَحَم، وهما أفصح: رمى بنفسه فيه من غير روية ... وتقحيم النفس في الشيء إدخالها فيه من غير روية... والقحم : الأمور العظام التي لايركبها كل أحد))[٥] ، فمثل ما كان طريق النجدين شاقًا كذلك هو طريق إقحام النفس بالمهالك والأمور العظام فقد ((فسر تعالى المراد بالعقبة فقال:﴿ **فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ** ﴾... فشبه سبحانه هذا الفعل _ لو فعله الإنسان _ باقتحام العقبة أي صعودها أو قطعها؛ لأن الإنسان ينجو بذلك كالناجي من الطريق الشاق ، إذا اقتحم عقبته ، وتجاوز مخافته ، وحسن تمثيل هذا الفعل ههنا بالعقبة

([١]) نهج البلاغة، باب المختار من حكم أمير المؤمنين(عليه السلام) :٦٨٢.

([٢])الإنسان : ٣.

([٣])التحرير والتنوير:٣٠/٣٥٥.

([٤]) البلد :١١-١٦.

([٥]) لسان العرب، مادة (قحم):١٢/٤٦٢-٤٦٣.

لما شبه سبحانه سبيلي الخير والشر بالنجدين))[١] ، فاستعار (العقبة) والفعل (اقتحم) لبيان قوة حث النفس على المضي في طريق الخير على الرغم من شدته ومشقته وقد أفادت الاستعارة الحجاجية ((نفي الاقتحام أنَّه عدل على الاهتداء إيثاراً للعاجل على الآجل ولو عزم وصَبر لاقْتحم العقبة . وقد تتابعت الاستعارات الثلاث : النجدين ، والعقبة ، والاقتحام، وبُني بعضها على بعض وذلك من أحسن الاستعارة وهي مبنية على تشبيه المعقول بالمحسوس . والكلام مسوق مساق التوبيخ على عدم اهتداء هؤلاء للأعمال الصالحة مع قيام أسباب الاهتداء من الإدراك والنطق))[٢].

ولا يقتصر مجيء الاستعارة الحجاجية على الجمل والألفاظ بل تتجاوز ذلك إلى المحاججة باستعمال الحروف لأداء الأهداف المنشودة. ويعرف هذا ب(الانزياح الأسلوبي) القائم على أساس استبدال الجمل والكلمات والأحرف نفسها بأحرف ذات معنى لتؤدي وظيفة الاستعارة[٣]، ويتضمن النص القرآني الكثير من الآيات المتضمنة للاستعارة بالحروف دون الكلمات والجمل، ومصداق ذلك قوله تعالى:﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ۝٨ ﴾[٤] فالاستعارة الحجاجية تكمن في استعمال الحرف (مع) بدلًا من (بعد) ؛ ، فإن هذه الآية كانت تقوية لقلب الرسول(ص) فيما يلاقيه من إيذاء المشركين لقوله تعالى: :﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ﴾ أي ((إنّ مع الشدة التي أنت فيها من مقاساة بلاء المشركين يُسراً بإظهاره إياك عليهم حتى تغلبهم وقيل: كان المشركون يُعيّرون رسول الله والمسلمين بالفقر، حتى سبق إلى وهمه أنهم رَغِبُوا عن الإسلام لافتقار أهله، فذكّره ما أنعم به عليه من جلائل النعم، ثم قال : { فإنَّ مع العسر يُسراً } كأنه قال: خوّلناك ما خوّلناك فلا تيأس من فضل الله، { إنَّ مع العسر } الذي أنتم فيه { يُسراً }، وجيء بلفظ « مع » لغاية مقارنة اليسر للعسر؛ زيادةً في التسلية وتقوية لقلبه (صلى الله

([١])تلخيص البيان في مجازات القرآن :٣٦٧.

([٢]) التحرير والتنوير : ٣٠/٣٥٦-٣٥٧.

([٣]) ينظر : السور القصار في القرآن الكريم:٢٤.

([٤]) الشرح: ٥-٨.

عليه وآله) ، وكذلك تكريره ، وإنما قال (صلى الله عليه وآله) عند نزولها : « لن يغلب عسر يسرين » لأنَّ العسر أعيد مُعرّفاً فكان واحداً ، لأنّ المعرفة إذا أعيدت معرفة كانت الثانية عين الأولى، واليُسر أعيد نكرة، والنكرة إذا أُعيدت نكرة كانت الثانية غير الأولى ، فصار المعنى : إنَّ مع العُسر يسريْن))[1] ، وقيل إن هذه الآية متعلقة بتنصيب الإمام علي (ع) في غدير خم لقوله تعالى:﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨ ﴾ أي نصب الإمام علي (ع) وبعد ذلك توجه لربك بالسؤال والدعاء، فهو القادر على قضاء حاجتك وإنجاح طلبتك ،فالمعنى العام للآية هو أن بعد كل عسر هناك يسر لكن أصبح للآية وقع خاص في نفس المتلقي إذ إن استعمال الحرف (مع) دل على مصاحبة اليسر للعسر بزمن قريب غير بعيد عنه وتم ذلك عن طريق ((جعل الزمان القريب كالمتصل والمقارن زيادة في التسلية وقوة الرجاء))[2]حتى يشعر العبد بالعناية الإلهية والرحمة الدائمة حتى في وقت الضيق، ولا يوجد إله آخر قادرٌ على أن يؤتي عباده كل هذه النعم ولا مجال هنا لإنكار عظمة الباري أو مقارنته بآلهة أخرى عاجزة لا تُقدم ولا تُؤخر ولو بمقدار ذرة.

أما في المشهد الآتي قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ ﴾[3] نجد قوله: (ليطغى) مستعار منه لمستعار له محذوف وهو (أبو جهل) فالإنسان هو مفهوم عام وأبو جهل مصداق له فقيل: إن هذه الآية نزلت في حقه ((وقوله تعالى:{كَلا إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ } الآية نزلت بعد مدة في شأن أبي جهل بن هشام، وذلك أنه طغى لغناه ولكثرة من يغشى ناديه من الناس، فناصب رسول الله (صلى الله عليه وآله) العداوة ونهاه عن الصلاة في المسجد ، ويروى أنه قال : لئن رأيت محمداً يسجد عند الكعبة لأطأن على عنقه ، فيروى أن (رسول الله صلى الله عليه) رد عليه القول وانتهره وتوعده، فقال أبو جهل : أيتوعدني ، وما والي بالوادي أعظم نديا مني ... فهذه السورة من

([1]) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد:٣٢٢/٧-٣٢٣.

([2]) غرائب القرآن ورغائب الفرقان:٥٢٢/٧.

([3]) العلق:٦-٨.

قوله: {كلا} إلى آخرها نزلت في أبي جهل ، و {كلا} هي رد على أقوال أبي جهل وأفعاله))[١]. فهذه هي طبيعة أغلب البشر الذين لم يتربوا في مدرسة العقل والوحي ، حين يرون أنفسهم أنهم مستغنون فيعمدون بذلك إلى الطغيان، وينسلخون من عبودية اللّه، ويرفضون الإعتراف بأحكامه، ويصمّون آذانهم عن تلبية ندائه، ولا يراعون في ذلك حقّاً ولا عدلاً. فلا الإنسان ولا أي مخلوق آخر قادر على أن يستغني، بل كلّ الموجودات هي بحاجة للطف اللّه ونِعَمِه غير المنقطعة، وإذا انقطع فيضه سبحانه عنها لحظة واحدة، ففي هذه اللحظة بالذات تفنى الخليقة جمعاء، غير أنّ الإنسان يشعر خطأ أحياناً أنّه مستغن غير محتاج. والقرآن يشير إلى هذا الإحساس بعبارة دقيقة يقول: (إنْ رآه استغنى) لم يقل أن استغنى [٢] ونزول الآية بحق (أبي جهل) لا يمنع أن تكون مثلًا لغيره من الطغاة المتكبرين المتعالين؛ لأنّ الجميع سيكون مردهم إلى الله (إن إلى ربك الرجعى)، وبعد عرض كل هذه المصاديق عن طريق محاججة البشر بما لديهم هل هناك ما يدعو للمكوث في غيابات الجهل والاستغناء عن ذات الله المقدسة والبعد عنها؟.

ويلاحظ كثرة الاستعارات في السور القصار الخاصة بالحديث عن عمل الإنسان وكيف يجازى عليه ، قال تعالى:﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾[٣]، فهذه الاستعارة عبارة عن مشهد تمثيلي يعرض مشاهدًا لحال الناس يوم القيامة واستحقاق كل إنسان بما قدّمه من أعمال خير أو شر بعد أنْ رزقه الله نعمة الهداية للنجدين ومنحه أسباب الإدراك والفهم لينجو يوم الحساب، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝١٧ ﴾[٤] فأصبحت هذه الصورة تتردد على ألسنة الناس كمثلٍ سائر باعتماد الاستعارة الحجاجية التي توحي بضرورة

---

(١) المحرر والوجيز في تفسير الكتاب العزيز:٥/٥٠٢.

(٢) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنّزل: ٣٠/٣٣٨.

(٣) الزلزلة: ٦-٨.

(٤) غافر:١٧.

ترويض النفس الإنسانية ، وحثها على عمل الخير مهما كان صغيرًا فثوابه كبير يوم القيامة وإن كان بمثقال ذرة ، فهذا الأمر يوجب الالتفات إلى مسألة الإيمان الحقيقي وعدم الإفراط بأي عمل وإن كان تافهًا بالنسبة للإنسان، فالله لا تضيع عنده الأعمال الصالحة بل حتى النية وإن كانت غير مقترنة بالعمل يؤجر عليها (إنما الأعمال بالنيات) وهذا شيء كافٍ حتى يحاجج الله به عباده المسرفين الذين استبدلوا حسناتهم سيئات جريًا وراء الدنيا وملذاتها الزائلة غير مدركين لحقيقة الإيمان والتسليم فقد قيل: إن الأعمال تجسم يوم القيامة ، وتأتي لصاحبها وفق الهيأة التي رسمها في الدنيا.

وروي عن أبي سعيد الخدري أنه قال: ((لما أنزلت هذه الآية (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرّاً يره) قلت: يا رسول اللّه إنّي لراء عملي؟ قال: نعم. قلت: الكبار الكبار. قال: نعم. قلت: الصغار الصغار. قال: نعم. قلت واثكلى أُمي ، قال: ابشر يا أبا سعيد فإنّ الحسنة بعشر أمثالها يعني إلى سبعمائة ضعف، واللّه يضاعف لمن يشاء والسيئة بمثلها أو يعفو اللّه، ولن ينجو أحد بعمله. قلت: ولا أنت يا نبيّ اللّه؟ قال: ولا أنا إلاّ أن يتغمدني اللّه منه بالرحمة))[1] ، فلا فرق بين عمل صغير ولا كبير كلٌ له حسابه وإن كان العمل بحجم الذرة يحسب ، وهذه الآية تحمل معنًا عميقًا و كافيًا لدفع الإنسان للمضي قدمًا في عمل الصالحات يقينًا منه إن الله يحصي أصغر الأعمال.

وغالبًا ما تركز الاستعارات الحجاجية القرآنية على الإنسان وأعماله وعلاقته بربه وكيف يجعل الله الحجة على عباده ويريهم أنه قد بينّ لهم الطريق السوي حتى لا تكون الحجة عليه سبحانه ، لكن على الرغم من هذا فالإنسان كنود ، وجهله بضعفه وقلة حيلته هو ما بعث على كبره وتفاخره وجحوده ، لذلك كثر الحديث في مواضع متعددة عن حال الأقوام السالفة وكيف أصابها العذاب وكيف كان التذكير الإلهي متواصلًا لهم في حال أدركهم الموت ونجد في المشهد الآتي قوله تعالى:﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ

([1]) الدر المنثور في التفسير بالمأثور:٨/٩٥٤.

﴿ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾[1] فـ(عين اليقين) موضع الاستعارة الحجاجية التي جاءت لتؤكد تحقق الرؤية يقينًا، ويسأل عن مفهوم اليقين ، فيقال: ((التوكل على اللّه، والتسليم للّه، والرضا بقضاء اللّه، والتفويض إلى اللّه!))[2] فلليقين مراتب عديدة ، ذكرتها هذه الآية وآية أخرى قال تعالى:﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾[3] ، وهذه المراتب هي:

((علم اليقين: وهو الذي يحصل للإنسان عند مشاهدته الدلائل المختلفة، كأن يشاهد دخاناً فيعلم علم اليقين أن هناك ناراً وعين اليقين: وهو يحصل حين يصل الإنسان إلى درجة المشاهدة كأن يرى بعينه مثلاً النّار وحقّ اليقين: وهو كأن يدخل الإنسان النّار بنفسه ويحسّ بحرقتها، ويتصف بصفاتها. وهذه أعلى مراحل اليقين))[4] وهناك حديث يروى عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) أنَّ بعض أصحاب عيسى(عليه السلام) كان يمشي على الماء فقال(صلى الله عليه وآله) _فيما معناه_ أنه لو كان يقينه أكبر من هذا اليقين لتمكن من المشي على الهواء[5] فمن كانت له الحظوة عند الله سيمكنه من فعل ما يعجز عنه باقي البشر وصولًا إلى مرحلة مكانه في الجنة أو في النار (لترون الجحيم، ثم لترونها عين اليقين) ويبرز موضع المحاججة الإلهية في أن ((الرّوايات التي تنفي شمول الآيه للنعم المادية يظهر أنّها تريد أن تقول: لا ينبغي أن نترك المصاديق الأهم للآية ونتمسك بالمصاديق الأصغر إنّه تحذير في الواقع إلى النّاس بشأن سلسلة مراتب المواهب والنعم الإلهية، وبأنّهم يتحملون إزاءها مسؤولية ثقيلة. وكيف يمكن أن لا يُسأل عن هذه النعم؟

([1]) التكاثر: ١-٨.

([2]) بحار الأنوار: ١٥٧/٦٨.

([3]) الواقعة: ٩٥.

([4]) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٣٩٨/٣٠-٣٩٩.

([5]) ينظر: المصدر نفسه:٣٩٩/٣٠.

وهي ثروة كبيرة وهبت للبشرية يجب أن تقدر كل واحدة منها حقّ قدرها وأن يؤدّى شكرها، وأن يستثمر كل منها في موضعها))[١] ؛ لأنَّه سيسأل عنها حتمًا.

وينتقل حديث الاستعارة الحجاجية إلى أصناف النار ، قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩ ﴾[٢] قيل: إنَّ آيات هذه السّورة نزلت في (الوليد بن المغيرة) الذي كان يغتاب النّبي، ويطعن فيه ، ويستهزئ به، وقيل أيضًا: إنّها نزلت في أفراد آخرين من رؤوس المشركين، وأعداء الإسلام، مثل (الأخنس بن شريق) و(أمية بن خلف) و(العاص بن وائل) ولكن هذا لا ينفي شمولية مفاهيم الآيات، بل إنّها تستوعب كلّ الذين يحملون هذه الصفات الذميمة [٣].

فوردت الاستعارة الحجاجية في قوله تعالى: (لينبذن في الحطمة) بشكل مجمل فالنبذ يشير إلى الإهانة والرمي في النار وهذا يشير لشدة حصول الدفع لقعر جهنم (الحطمة)، ليأتي تفصيل (الحطمة) فيما بعد في كونها (نار الله الموقدة، التي تطلع على الأفئدة، إنَّها عليهم مؤصدة، في عمد ممددة) فـ((لينبذُن ، بضم الذال، أي: هو وأنصاره. ولينبذنه { فِى الحطمة } في النار التي من شأنها أن تحطم كل ما يلقى فيها، ويقال للرجل الأكول: إنه لحطمة. وقرئ: «الحاطمة» يعني أنها تدخل في أجوافهم حتى لا تصل إلى صدورهم وتطلع على أفئدتهم، وهي أوساط القلوب، ولا شيء في بدن الإنسان ألطف من الفؤاد، ولا أشدّ تألماً منه بأدنى أذى يمسه، فكيف إذا أطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه. ويجوز أن يخصّ الأفئدة لأنها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة والنيات الخبيثة. ومعنى اطلاع النار عليها: أنّها

---

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل:٣٠/٤٠٠.

(٢)الهمزة: ١-٩.

(٣) ينظر: المصدر نفسه:٣٠/٤١٠.

تعلوها وتغلبها وتشتمل عليها))[١]، فالحطمة وصف خاص لحال النار التي تهشم الأعضاء فالروايات ذكرت أنها نار ذات طبقة رهيبة الحرارة [٢]، ومفهوم تهشّم الأعضاء بدل احتراقها في نار جهنّم، صعب الفهم نسبيًا في القدم ، لكن بعد التطور الذي طال العالم أصبحت الصورة واضحة فالكثير من الاختراعات قادرة على تدمير معالم ضخمة ذات بناء رصين فكيف بحال أعضاء الإنسان ؟ وشتان ما بين نار الإنسان العاجزة أمام نار الله العظيمة .

والمقصود بـ((عبارة «نار اللّه» دليل على عظمة هذه النّار، و«الموقدة» تعني استعارها المستمر. والعجيب أنّ هذه النّار ليست مثل نار الدنيا التي تحرق الجلد أوّلاً ثمّ تنفذ إلى الداخل، بل هي تبعث بلهبها أوّلاً إلى القلب، وتحرق الداخل وتبدأ أوّلاً بالقلب ثمّ بما يحيطه، ثمّ تنفذ إلى الخارج. ما هذه النّار التي تبعث بشررها إلى قلب الإنسان أوّلاً؟! ما هذه النّار التي تحرق الداخل قبل الخارج؟! كلّ شيء في القيامة عجيب، ومختلف كثيراً عن هذا العالم، حتّى إحراق نارها. لماذا لا تكون كذلك، وقلوب هؤلاء الطاغين مركز للكفر والكبر والغرور، وبؤرة حبّ الدنيا والثروة والمال؟!))[٣] فالغاية الحجاجية وراء وصف هذه النار؛ هي أن العدالة الإلهية تقتضي أن يكون الجزاء شبيه بفظاعة الأعمال التي ارتكبها هؤلاء الناس الذين كانوا يسخرون من المؤمنين بهمزهم ولمزهم وتسلطهم.

وكذلك الحال مع أصحاب الفيل الذين عاثوا في الأرض فسادًا ، فحالهم حال الأقوام السابقة التي عذبها الله جزاءً على أفعالها ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥ ﴾[٤] فالاستعارة الحجاجية متمثلة في قوله تعالى: ((تضليل)) التي استعارها الباري لبيان حال أصحاب الفيل الذين جاءوا لهدم الكعبة

---

(١) الكشاف:٣٠/١٢٢٠-١٢٢١.

(٢) ينظر: نور الثقلين:٥/٦٦٨.

(٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل:٣٠/٤١٤.

(٤) الفيل:١-٥.

المشرفة نتيجة لتفكيرهم المظل وتيههم في وادي الطغيان ويقصد بالتضليل: ((جعل الغير ضالاً، أي لا يهتدي لمراده وهو هنا مجاز في الإبطال وعدم نوال المقصود؛ لأن ضلال الطريق عدم وصول السائر. وظرفية الكيد في التضليل مجازية، استعير حرف الظرفية لمعنى المصاحبة الشديدة، أي أبطل كيدهم بتضليل، أي مصاحباً للتضليل لا يفارقه، والمعنى: أنه أبطله إبطالاً شديداً إذ لم ينتفعوا بقوتهم مع ضعف أهل مكة وقلة عددهم. وهذا كقوله تعالى :{ وما كيد فرعون إلا في تباب }[١] أي ضياع وتلف، وقد شمل تضليلُ كيدهم جميعَ ما حلّ بهم من أسباب الخيبة وسوء المنقلب))[٢] ، فالباري يبين لرسوله الكريم أنهم جاؤوا بجيش كبير مجهّز بالعدّة والعدد لأجل أن يهدموا الكعبة واللّه سبحانه دحرهم بجيش في ظاهره صغير بسيط وقضى على الفيلة بطير صغير، وهدم ما جاؤوا به من الآت حربية متطورة في ذلك الزمان بحجارة من سجيل [٣]، وقيل إن السجيل: حجر صغير بحجم حبة الحمص وكان كل طائر يحمل منه ثلاث حجارات واحدة في فمه واثنتان في أقدامه فيهلك من يُرمَى بها ويصبح كالعصف المأكول_ سبق وإن أشرت لمعناه في مبحث حجاجية التشبيه_، والغاية من هذا بيان مدى ضعف الإنسان أمام عظمة الباري وقدرته فتصوير المشهد للرسول الكريم(صلى الله عليه وآله) بدا وكأنه شاهد على تلك الحادثة فقد رسمت لفظة(تضليل) صورة مستوحاة من عام الفيل عرضت في جوانبها معاني عديدة منها: الكفر، والطغيان، والهلاك، وعدم الوصول.

كذلك نجد لاستعمال الحرف (في) الدال على الظرفية أثرًا كبيرًا في إيصال المعنى الحجاجي للمتلقي ، فقد أفاد هذا الحرف بأنَّ هذه الصحراء أصبحت وعاءً ومكانًا لهم، ولم يقف المشهد هنا بل أشار إلى تضيعهم في الصحراء وإرسال طير الأبابيل عليهم، كما أنَّ بعض معاني (السجِل) بالكسر: الدلو الكبير المملؤ بالماء ، وكأن الحجارة تحولت إلى ماء في سرعة إنزال العقوبة عليهم وهنا أيضا استعارة حجاجية مرسومة بطريقة التخييل [٤].

---

(١)غافر:٣٧.

(٢) التحرير والتنوير:٣٠/٥٤٨-٥٤٩.

(٣)ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل:٣٠/٤٢٤.

(٤) ينظر: روح المعاني:٣٠/٢٣٧.

فالنص القرآني زاخر بالاستعارات الحجاجية التي أصبح بعضها من الأمثال التي تدور على ألسنة الناس ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣ ﴾(١)، فقد وردت الاستعارة في (إذا جاء نصر الله ...) فكأنَّما صوّر النصر بأنَّه شخص تحقق مجيئه فكان للفظة (جاء) وقع خاص في نفس المتلقي من لو كان اللفظ المستعمل (حصل أو وقع)، وخرج من معناه الحقيقي (المجيء) إلى المعنى الاستعاري (الحصول والتحقق)؛ لأَنّ النصر يجيء بالوقت الذي حدده الباري.

وهناك من أثار تساؤلًا حول سبب استعمال الفعل (جاء) ولم يستعمل الفعل (وقع) : والجواب على هذا التساؤل فيه إشارات عديدة ((إحداها أنّ الأمور مربوطة بأوقاتها وأنّه سبحانه قدّر لحدوث كل حادث أسبابًا معينة... ،فإذا حضر ذلك الوقت وجاء ذلك الزمان حضر معه ذلك الأثر ... (وثانيهما) أنّ اللفظ دلّ على أنَّ النصر كان كالمشتاق إلى محمد (صلى الله عليه وآله) ، وذلك لأنَّ ذلك النصر كان مستحقا له بحكم الوعد فالمقتضى كان موجودًا إلاَّ أنَّ تخلف الأثر كان لفقدان الشرط فكان كالثقيل المعلق فان ثقله يوجب الهوى إلا أن العلاقة مانعة فالثقيل يكون كالمشتاق إلى الهوى هكذا ههنا النصر كان كالمشتاق إلى محمد (صلى الله عليه وآله)))(٢). ورُفِد هذا المعنى باستعارة حجاجية أخرى في النص المبارك قوله: ﴿ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴾ إشارة لاعتناقهم الإسلام ومحبتهم له لدرجة دخولهم على شكل مجموعات ((إن هذه الصورة تحيلنا إلى قراءة عن طريق توظيف الفعل (يدخلون) الذي يوحي بأن هؤلاء الأفواج أمام صرح كبير مشيد حتى يأتي نصر الله ويفتح هذا الصرح ويدخلون فيه _ وهو دخول شبيه بدخول القلاع الكبيرة المحصنة_ ولكن هذا الدخول بدون قتال لأنه فتح مكة على يد الرسول (ص)))(٣) فالغرض الحجاجي من

---

(١)النصر:١-٣.

(٢)ينظر: السور القصار (دراسة بلاغية):١٧.

(٣)ينظر: المصدر نفسه:١٨.

النصر والفتح ودخول الناس في دين الله أفواجًا هو الإقناع بأحقية الشخص الذي جاء لأجله النصر وحدث على يديه الفتح إشعارًا بقوة الفاتح وقدرته على إقناع الناس لاعتناق الدين الإسلامي وبيان ضعف العدو المهزوم.

وما أثار انتباهي في هذا المبحث هو كثرة الاستعارات الحجاجية المتعلقة بالحياة والموت والبعث والنشور وعمل الإنسان ، وكأن هناك إعجازًا غيبيًا يجعلني أمام تساؤل ما السبب وراء ارتباط ذكر أجل الإنسان في الجزء الأخير من القرآن الكريم؟، وكأن هناك تدرجات مرتبطة بحياة الإنسان من أول محطة بعد الولادة وصولًا إلى آخر محطة في الحياة وهي انتهاء الأجل فجاءت في الجزء الأخير والله أعلم.

المبحث الثالث: الكناية الحجاجية.

كان للكناية حضورٌ كبيرٌ في الدراسات النحوية والبلاغية والدينية وحققت أهدافًا لغوية وفنية وفكرية، وما يهمنا هنا هو التعرف على الكناية البلاغية ذات الأثر الحجاجي العامل على استمالة المتلقي وإقناعه والتأثير فيه على وفق المعطيات الواردة في النص القرآني ، وتعرَّف بشكل عام على أنَّها: ((أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلًا عليه...، مثال ذلك قولهم: (هو طويل النجاد) يريدون طول القامة و (كثير رماد القدر) يعنون كثرة القِرى ، وفي المرأة (نؤوم الضحى) والمراد أنها مترفة خدومة))[١] ، ولذلك للكناية أثر جمالي لما تضفيه على النصوص من مؤثرات سمعية ،أو بصرية ،أو لونية بحسب الموقف الواردة فيه لتليين الكلام تنويهًا أو تفضيلًا.

وتعدُّ صورة من صور التعبير البلاغي التي لا يأتي بها إلاَّ من كان متمكنًا منها، وله قدرة عالية على مجاراتها وجعلها مجسدة في الفن القولي عن طريق المعاني التي تبثها ، وقد أشار الجرجاني إلى ذلك بقوله: قد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح ، والتعريض أوقع من التصريح، ولابدّ من تهيئة عبارة تساعد المتلقي على فهم سبب ذلك وعلته ، فمزية الكناية تكمن في طريق إثبات المعنى وليس في نفس المعنى الذي يقصد إليه المتكلم ، فزيادة إثبات المعنى يجعله أبلغ وأوكد وأشد[٢] .

فالكناية وسيلة مهمة من وسائل التصوير بالاعتماد على المعنى فنيًا فعندما تتكاتف عناصر التصوير البلاغي مع غيرها بحسب السياق الواردة فيه، فإنَّها تؤدي إلى الكشف عن مواطن الحسن والجمال، وما تضفيه من سحر على الصورة البلاغية عن طريق الإمتاع والجمال[٣]. فهي بهذا ((تمثل للذهن المعنى المجرد بصورة جزئياته المحسوسة فيدرك من ثم المعنى المقصود على أخصر طريق من غير استكراه ولا عسر))[٤].

---

(١) دلائل الإعجاز:٦٦.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٧١.

(٣) ينظر: أساليب البيان في القرآن :٧٤٥.

(٤) فلسفة البلاغة، جبر ضومط:١٠١ نقلًا عن أساليب البيان في القرآن:٧٤٥.

ويتأتى دورها الحجاجي عن طريق خلق صورة تؤثر في نفس المتلقي والمتذوق وهذا التأثر لا يحصل بالاعتماد على المعنى الصريح بل عن طريق المعنى الآخر الملوح به ، فضلًا عن وظيفتها التأثيرية وأثرها الرمزي والإيحائي فإنَّ لها دورًا أساسيًا في تقديم المعنى، وهذا لا يخرج عن طبيعتها في تملك طريقة خاصة في التعبير تُكسب المعاني بيانًا أو إيضاحًا؛ لوجود فرق كبير بين التعبير الصريح والمكنى عنه (١) فهي تُظهر المعاني في صورة المحسوسات؛ فتجعلها ملموسة للعيان واضحة وبيّنة، وتحدث انفعال الإعجاب؛ لأنَّه انفعال تعجز اللغة العادية عن تصويره؛ لأنها وضعت بإزاء الأفكار؛ لتعبر عن أنَّها من معطيات العقل، الذي يتصف بالهدوء والتروي، فالانفعال يقتضي لغة خاصة يؤلفها البليغ باستعانته بالصور الخيالية التي تعد الكناية إحداها (٢).

وسنحاول في هذا المبحث بيان الكناية الحجاجية الواردة في السور القصار وأثرها في جعل الذهن قادرًا على إقامة علاقات تؤدي به إلى الاقتناع بما يريد الباث إيصاله بالاعتماد على الحجج الإقناعية التي يقدمها:

قال تعالى:﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ۝٤ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ۝٥ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ۝٧ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ۝٩ ﴾(٣)، فقد وردت الكناية الحجاجية في قوله: (وإذا المؤودة سئلت بأي ذنب قتلت) ، قال الزمخشري: ((فإن قلت: ما معنى سؤال المؤودة عن ذنبها الذي قتلت به: وهلا سئل الوائد عن موجب قتله لها؟ قلت: سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها))(٤)،وقد وردت كناية مماثلة لها في التبكيت والتوبيخ في قوله تعالى:﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ

(١) ينظر: أساليب البيان في القرآن : ٧٤٤.

(٢) ينظر: المصدر نفسه:٧٤٥.

(٣) التكوير:١-٩.

(٤) الكشاف:١١٨٢.

ٱللَّهِ﴾[١] فيما يخص تنبيه النصارى على قبح أقوالهم واعتقادهم. ويقصد بالوأد هو دفن البنت حية بعد ولادتها مباشرة؛ لأنّ الرجل في الجاهلية كان يُسود وجهه إذا بُشر بالأنثى بدليل قوله تعالى:﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾[٢] حتى قيل: إنَّ المرأة عندما يحين وقت ولادتها كانت تحفر حفرة وتقعد عند رأسها في حال ولدت بنتًا تدفنها مباشرة ،وعندما جاء الإسلام حرم هذا الفعل الشنيع، وهذه الآية قابلة للتوسع في فهم المقصود، فقد ذهب الأئمة الأطهار(عليهم السلام)[٣] إلى أنَّ المقصود بـ(بالوأد) هو قطع الرحم والمودة بدليل أنَّه حينما سُئل الإمام الباقر(عليه السلام) عن معنى الآية، قال: «مَنْ قتل في مودّتنا» وفي رواية أخرى: إنَّ الدليل على ذلك هو آية القربى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[٤] والجامع بينهما هو قتل النفس من غير وجه حق سواء كانت البنت المولودة أم الشخص المتودد لأهل البيت (ع).

و نستشف من هذا مدى اهتمام الإسلام بالمرأة وبالدم الإنساني (خاصة دم الأبرياء)، عن طريق اهتمام الباري عز وجلّ شأنه بمسألة وأد البنات، ويكفي القرآن الكريم دلالة على أنْ قدّم ذكر مسألة الوأد في محكمة العدل الإلهي يوم القيامة عن طريق مسألة نشر صحف الأعمال وبقية المسائل الأخرى التي تعرض أنذاك ، لما فيها من قباحة وشناعة في حق المرأة كإنسانة لها حقوق في الحياة كما للرجل حقوق [٥].

ويُثار تساؤل هنا مَنْ يُسأل يوم القيامة الموءودة أمْ الوائد؟

الجواب: ((لو أمعنا النظر في أسلوب كلام الآية، لرأينا أنّ السؤال سيوجه يوم القيامة إلى الموءودة دون الوائد على الذنب الذي قتلت من أجله، وكأنّ القاتل لا قيمة له حتى يسأل عن

([١])المائدة:١١٦.

([٢])النحل:٥٨.

([٣]) البرهان: مج٨/ج٣٠/٢٢١-٢٢٢.

([٤]) الشورى:٢٣.

([٥])ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢٩/١٠٠.

قباحة جريمته، فضلًا عن الاكتفاء بشهادة المؤودة لإثبات جريمة الوائد عليه... فالموءودة تعامل يوم القيامة باعتبارها إنسان محترم له حقوقه، والرائد مهمل مهان))[١] ويلاحظ عن طريق هذه الآية أنَّها تنبيه وتقريع لمن تجاوز على حرمة قتل النفس الإنسانية خاصة ليندم على فعلته ، وللناس عامة حتى لا يفكروا على الإقدام بمثل هذا الفعل ، فيصبح حال القاتل ذليلًا مُهانًا يوم القيامة، والمقتول مكرم ومصان ، وهذا يشبه حال الظالم والمظلوم يوم القيامة عندما يكون على الظالم أشد من يوم ظلمه للمظلوم أضعافًا مضاعفة.

فكل ما زاد تمسك الإنسان بالله كل ما كان بعيدًا عن أنْ يغشاه العذاب في الدنيا والآخرة قال تعالى:﴿**هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ۝٣ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ۝٥ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ۝٦ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ۝٧**﴾[٢] فجاءت لفظة (الغاشية) تحمل في طياتها الكناية الحجاجية التي تعبر عن أهوال يوم القيامة، وجاءت مسبوقة بالاستفهام لزيادة تشويق السامع لمعرفة ما الخبر وعظمته ، ويقصد بالغاشية ((الداهية التي تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم أهوالها يعني القيامة، من قوله: { **يَوْمَ يغشاهم العذاب** }[٣] ، وقيل: النار، من قوله:{ **وتغشى وُجُوهَهُمْ النار**}[٤] ،{ **وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ** }[٥]، { **يَوْمَئِذٍ** } يوم إذ غشيت {**خاشعة**} ذليلة {**عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ**} تعمل في النار عملاً تتعب فيه، وهو جرها السلاسل والأغلال، وخوضها في النار كما تخوض الإبل في الوحل، وارتقاؤها دائبة في صعود من نار، وهبوطها في حدور منها. وقيل: عملت في الدنيا أعمال السوء والتذت بها وتنعمت، فهي في نصب منها في الآخرة ، وقيل : عملت ونصبت في أعمال لا تجدي عليها في الآخرة))[٦] فمثلت صورة

---

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٠٠/٢٩.

(٢) الغاشية:١-٧.

(٣)العنكبوت:٥٥.

(٤) إبراهيم:٥٠.

(٥) الأعراف:.٤١

(٦) الكشاف:١١٩٦/٣٠-١١٩٧.

كنائية عن أحداث يوم القيامة التي استدعت حضورًا في الذهن عن طريق تداعٍ ثانٍ، وهو أنها هي النار التي تغشى وجوه الكفرة ، وتحيط بهم من كل الجهات [١] كالغطاء الذي يحيط بصاحبه بشكل كامل ، ودعمتها صورة كنائية أخرى هي (وجوه) التي عبرّت عن ذات صاحبها ، كما عُبِّر عن ذلك في قوله تعالى:﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾[٢] ((وقرينة ذلك هنا قوله بعده : { ليس لهم طعام إلا من ضريع }، إذ جعل ضمير الوجوه جماعة العقلاء . وأوثرت الوجوه بالكناية عن أصحابها هنا وفي مثل هذا المقام؛ لأن حالة الوجوه تنبىء عن حالة أصحابها إذ الوجه عنوان عما يجده صاحبه من نعيم أو شقوة كما يقال : خرج بوجه غير الوجه الذي دخل به))[٣] فمع هذا كله هل هناك ما يدعو السامع للاستمرار على الكفر بالله وهو يبين للملأ حال الكفرة وكيف يُنّزل بهم أقسى أنواع العذاب؟، وهذا العدول من مسمى (القيامة) إلى مسمى آخر وهو(الغاشية) يؤدي إلى تفاعل المتلقي مع الخطاب الإلهي الصادر إليه والإصغاء إلى أوامره واستحسانها، واجتناب نواهيه والامتعاض منها خوفًا من أن يكون مصيره النار.

قال تعالى: ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾[٤] ابتدأت السورة بالقسم لبيان مجموعة من الحقائق المهمة التي أراد القرآن الكريم بيانها وقد وردت هنا الكناية معبرةً عن المشاق والشدائد التي تلازم الإنسان منذ ولادته وحتى وفاته (لقد خلقنا الإنسان في كبد) ، ويقصد بالكبد: ((الأكباد اللحمة السوداء في البطن... وقوس كبداء غليظة الكبد شديدتها... والكبداء الرحى التي تدار باليد سميت كبداء لما في إدارتها من المشقة... الرجل يكابد الليل إذا

---

(١) ينظر: التفسير الكبير:١٥١/٣١.

(٢) الرحمٰن:٢٧.

(٣) التحرير والتنوير:٢٩٥/٣٠.

(٤) البلد:١-٤.

ركب هوله وصعوبته))[١]، فالهدف النهائي للقسم هو(لقد خلقنا الإنسان في كبد) الذي يعد إشارة لكل ألم ومحنة فـ((الإنسان يمرّ في دورة حياته بمراحل كلّها مشوبة بالألم ومقرونة بالعناء. منذ أن يستقرّ نطفة في رحم أُمه حتى ولادته، ثمّ بعد ولادته في مراحل طفولته وشبابه وشيخوخته يعاني من ألوان والمشاق والآلام، هذه طبيعة الحياة، ومن توقّع منها غير ذلك خيّبت ظنّه))[٢] ، وقيل: إنّها نزلت في مجموعة أنفقوا الأموال الطائلة في معاداة الرّسول(صلى الله عليه وآله) والرسالة السماوية، وتباهوا بذلك، ويؤيد ذلك قول: (عمرو بن عبد ود) في حرب الخندق حين عرض عليه الإمام علي(عليه السلام) الإسلام فقال: فأين ما أنفقت فيكم مالاً لبداً؟[٣] وقد أفاد الحرف (في)الظرفية ((من قوله: (في كبد) مستعملة مجازاً في الملازمة فكأنَّه مظروف في الكَبَد ، ونظيره قوله:﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ﴾[٤]. فالمراد: عذاب الدنيا، وهو مشقة اضطراب البال في التكذيب واختلاقِ المعاذير والحيرة من الأمر على أحد التفسيرين لتلك الآية. فالمعنى: أنّ الكَبَد ملازم للمشرك من حين اتصافه بالإشراك وهو حين تقوُّم العقل وكمالِ الإدراك .ومن الجائز أن يجعل قوله : { لقد خلقنا الإنسان في كبد } من قبيل القلب المقبول لتضمنه اعتباراً لطيفاً وهو شدة تلبّس الكَبد بالإنسان المشرك حتى كأنه خُلِق في الكَبَد والمعنى: لقد خلقنا الكَبَد في الإنسان الكافر))[٥]، فالكناية الحجاجية تتمثل في أنَّ الله جعل يسر ورحمة لكل هذه الشدائد التي يواجهها الإنسان، فالرحمة الإلهية موزعة على الجميع من دون استثناء وحاشا لله إن يكلف المرء فوق طاقته فإنَّ الله (لا يكلف نفسًا إلا وسعها) ويعطيها كل مرتكزات المواجهة للاختبارات والظروف، وفي الوقت نفسه يُذكِرُ الله عباده بأنْ لا ينسوا

---

(١) لسان العرب:٤/٣٧٤-٣٧٦.

(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل:٢٩/٢٦٠-٢٦١.

(٣) ينظر: نور الثقلين: الحديث العاشر، ٥/٥٨٠

(٤) سبأ:٨-٩.

(٥) التحرير والتنوير: ٣٠/٣٥١-٣٥٢.

كل هذه الأمور، فقد خلقكم ورزقكم كل ما يمكنكم من العيش الرغيد، فلا يأخذكم الغرور والتكبر فتظنوا أنَّه غير قادر على أحد منكم.

ومن الكنايات التي عبّرت عن العذاب في السور القرآنية القصار قوله تعالى:﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَىٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾[١] متمثلة في قوله :(فَدَمْدَمَ عَلَيهِم رَبُّهُم بِذَنْبِهِم فَسَوَّاهَا) من خلال توظيف اللفظ الاهتزازي (دمدم) ويقصد بـ(دمدم) أن الله ((أطلق عليهم العذاب ، وهو من تكرير قولهم : ناقة مدمومة : إذا ألبسها الشحم [...] وفيه إنذار عظيم بعاقبه الذنب ، فعلى كل مذنب أن يعتبر ويحذر))[٢]، وبيّنَ أكثر المفسرين أنَّ المقصود بلفظ دَمْدَم عليهم ((أطبق عليهم الأرض، يقال: دَمَّمَ عليه القبر، إذا أطبقه ودَمْدَم مكرر دَمَّم للمبالغة مثل كَبْكَب، وعليه فوزن دَمْدَم فَعْلَلَ وفرع على «دمدم عليهم» { فسواها } أي فاستَووا في إصابتها لهم ، فضمير النصب عائد إلى الدمدمة المأخوذة من «دمدم عليهم». ومن فسروا «دمدم» بمعنى: أطبق عليهم الأرض قالوا معنَى «سوَّاها»: جعل الأرض مستوية عليهم لا تظهر فيها أجسادهم ولا بلادهم، وجَعَلوا ضمير المؤنث عائداً إلى الأرض المفهومة من فعل «دمدم» فيكون كقوله تعالى: "لو تسوى بهم الأرض"[٣]))[٤] ، كذلك نجد في توظيف الفاءات في النص القرآني (فكذّبوه فعقروها فدمدم) قد أدى وظيفة دلالية إيحائية دلّت على التوالي بدون تراخٍ؛ لأنَّ الذي لحق بهم من عذاب سريع ما هو إلاّ نتيجة لعقرهم الناقة، وكذلك استعمال (على) في (فدمدم عليهم ربهم) قد أفادت معنى الاستعلاء ، وأنَّ العذاب شملهم جميعًا ، ولم يكتفِ الباري بعذابهم بل دمرّ مدنهم من خلال ما تعرضه لنا لفظة (فسواها) فهي كناية عن تدمير

---

(١) الشمس:١١-١٥.

(٢) تفسير الكشاف:٣٠/١٢٠٦.

(٣) النساء:٤٢.

(٤)التحرير والتنوير:٣٠/٣٧٥.

المدن وجعل عاليها سافلها حتى أنَّه لم يُبقِ لهم باقية تُذكر [١]،وهو مشهد تمثيلي لحالهم بعدما أصابهم الدمار الشديد، فتعانقت ألفاظ عديدة لترسم لنا كناية حجاجية رائعة بدءًا من استعمال لفظ اهتزازي (فدمدم) للتعبير عن غضب الله عزّوجلّ على قوم صالح الذين عصوا أمر الله ورسوله وعقروا الناقة، ويُعدُّ هذا اللفظ من روائع بلاغة القرآن الكريم التي تُشعِر المتلقي بشدتها وقوتها بسبب استعمالها في سياق يعبر عن أحداث مهمة، واستعمال حرفي (الفاء) للدلالة عن الترتيب بالأحداث من دون تراخي ،و(على) ليدل على الاستعلاء وتخييم العذاب عليهم جميعًا، وصولًا إلى استعمال لفظة (فسواها) التي رسمت لنا لوحة الدماء العنيف الذي لحقهم ليختتم بها المشهد.

وتتمثل أمامنا كناية أخرى تعبر عن الكبر والهرم في قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾[٢] فهذه كناية مرتبطة بمرحلة ضعف قوى الإنسان سواء أكانت الجسدية أم العقلية بعدما تحدث الباري عن كونه خلق الإنسان بأحسن تقويم، ويعبر عن هذا في قوله: (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين) وفي هذه السورة استثناء للذين لا ينزلقون في دائرة السافلين وهو قوله: (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون) ، وقيل في تفسير هذه الآية: (ثمّ رددناه أسفل سافلين) ((تعني ضعف الجسم والذاكرة في شيخوخة الإنسان، ولكن هذا التّفسير لا ينسجم مع الاستثناء المذكور في الآية التالية ... الآية التالية تخاطب هذا الإنسان الكافر بأنعم ربّه والمعرض عن دلائل المعاد وتقول له: (فما يكذّبك بعد بالدين) تركيب وجودك من جهة، وبنيان هذا العالم الواسع من جهة أخرى يؤكّدان أنَّ هذه الحياة الخاطفة لا يمكن أنْ تكون الهدف النهائي من خلقتك وخلقة هذا العالم الكبير. هذه كلّها مقدمات لعالم أوسع

---

(١) ينظر: السور القصار في القرآن الكريم:٥٣.

(٢) التين:١-٨.

وأكمل، وبالتعبير القرآني، هذه «النشأة الأولى» تنبئ عن «النشأة الأخرى»، فلِمَ لا يتذكر الإنسان؟! عالم النبات كلّ عام يجسّد مشهد الموت والبعث أمام عين الإنسان، وتطور الجنين خلقاً بعد خلق، إنّما هو في كلّ خلق معاد وحياة جديدة، فكيف مع كلّ هذا ينكر يوم الجزاء؟!))[١] فالمخاطب في الآية هذا النوع من الأفراد الذين ينكرون يوم الجزاء ، و استعمال الأحرف جاء بشكل دقيق جدًا ، فاستعمال الحرف (ثم) ليدل على وجود مدةل زمنية بين خلق الإنسان وجعله في أحسن تقويم ، وبين بلوغه مرحلة الكبر والهرم على خلاف لو استعمل حرف (الفاء) ذو الدلالة المغايرة ، فهذا استعمال حجاجي لمن ينكر إعجاز القرآن الكريم، وقد رفدته كناية حجاجية لا مجال للإنسان في أنْ ينكرها ويجحد حقها فيما يخص خلقه وتقويمه ورزقه بالنعم التي ورد ذكرها في بداية السورة.

و تقابلنا كناية أخرى تعبر عن موطن أسرار الإنسان (القلوب) في قوله تعالى:﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١ ﴾[٢] فنجد فيها (وحُصلَ ما في الصدور) كناية عن ما يوجد في النفوس من ضمائر وأخلاق [٣]، ويقصد بـ(حُصِّلَ) : الجمع والإحصاء ليشير إلى جمع الأسرار الموجودة في القلوب وإخراجها لتكون ظاهرة للملأ ليجازى عليها ، وتكمن القوة الحجاجية في استعمال كلمة (حُصِّلَ) التي كانت ذات وقع إيحائي شديد يعبر عن أخذ المراد بقوة وشدة ((فكل ما يعمله الإنسان مستقر في أعماقه، مجموع في صدره، حتى يحين أوان بعثرته وكشفه والحساب عليه))[٤] ،وقد جاءت هذه الكناية مباشرة وراء قوله تعالى: (أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور)؛ لأجل أنْ ((لا يتبادر إلى الذهن من تجاهل حقيقة البعث والنشور أنَّ الأجسام سوف تتبعثر ولا يبقى منها شيء فيجيء التعبير القرآني مؤكدًا هذه الحقيقة الدامغة، ولِمَا لهذه الكلمة من دلالة على الجمع تتوافق مع حرص جمع المال في الدنيا، فكذلك الحرص

---

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل:٣٠/٣٢٩-٣٣٠.

(٢) العاديات:٩-١١.

(٣)ينظر: التحرير والتنوير:٣٠/٥٠٦.

(٤) التفسير البياني للقرآن الكريم:١/١١٧.

على جمع الأسرار والأعمال في الآخرة))[١] فكل ما يفعله الإنسان في حياته موجود في داخله، ويوم البعث يتمثل له بالهيأة التي رسمها ليحاسب عليه، وفي هذه الكناية ترهيب للإنسان حتى يقدم إلى رسم ما بداخله على وفق ما يرتضيه الله.

وقد وردت ألفاظ عديدة وصفت يوم الآخرة منها (الواقعة)، (الحاقة)، (الطامة)، (الصاخة) وغيرها، وقد ورد منها في السور القصار في قوله تعالى:﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ ﴾[٢] ، فجاءت القارعة كناية عن يوم القيامة وكأن لفظتها تقرع الأسماع قرعًا ، ويقصد بـ((القرع هو الضرب باعتماد ، بحيث يحصل منه صوت شديد، وهي القيامة التي مبدؤها النفخة الأولى، ومنتهاها فصل القضاء بين الخلائق، سُميت بها؛ لأنَّها تقرع القلوب والأسماع بفنون الأفزاع والأهوال))[٣] ،وقد جاء هذا المعنى متناسبًا مع وقعها بالنفوس؛ لأنَّها ((تقرع الناس بالأهوال والإفزاع وذلك في السماوات بالانشقاق والانفطار وفي الشمس والقمر (بالتكور) وفي الكواكب بالانتثار وفي الجبال بالدك والنسف وفي الأرض بالطي والتبديل))[٤] حتى لهولها وشدتها تكرر لفظها (القارعة) والاستفهام عنها بصيغتين (ما القارعة) ، و(ما أدراك ما القارعة) كل هذه معطيات تجعل السامع أو القارئ للنص القرآني في حالة من الوجل والتساؤل كيف ستكون القارعة في الحقيقة فمجرد الكلام عنها يثير الاندهاش، وقد جاءت (القارعة)[٥]على شكل ((مفردة كأنها قذيفة: ((القارعة)) بلا خبر ولا صفة لتلقي بظلها وجرسها الإيحاء المدوي المرهوب! ثم أعقبها سؤال التهويل : ((ما القارعة؟)) ...فهي الأمر المستهول الغامض الذي يثير الدهش والتساؤل! ثم أجاب بسؤال التجهيل: ((وما أدراك ما القارعة)).فهي أكبر من أَنْ يحيط بها

---

(١) السور القصار في القرآن الكريم:٤٧.

(٢) القارعة:١-٣.

(٣) تفسير البحر المديد: ٣٤٤/٧.

(٤) التفسير الكبير: ٧٠/٣٢.

(٥) ينظر: السور القصار في القرآن الكريم:٤٣

الإدراك، وأن يُلمَّ بها التصور))[١]، فقد رسمت هذه الكناية مشهدًا عن يوم القيامة عن طريق مجموعة من المعطيات الحجاجية التي وردت في النص وأحالت إلى دلالة إذهال الناس نتيجة لأحداثها المخيفة عسى أن يتعظ الإنسان قبل مجيء أجله.

ولا يقف الحديث عن مشاهد يوم القيامة عند هذا الحد بل ورد مشهد آخر يعبر عن الموت وما بعده في قوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾[٢] فتمثلت الكناية في قوله : (حتى زرتم المقابر) كناية عن الموت ، وإشارة إلى البقاء المؤقت في القبور لا الإقامة ، فعبر القرآن عن ذلك بلفظ (زرتم) ولم يقل (أقمتم) والمعنى الوارد في الآية المباركة مبني على أسباب النزول فقد ((قيل: نزلت في اليهود قالوا: نحن أكثر من بني فلان، و بنو فلان أكثر من بني فلان ألهاهم ذلك حتى ماتوا ضلالا ... و قيل: نزلت في فخذ من الأنصار تفاخروا... و قيل: نزلت في حيين من قريش: بني عبد مناف بن قصي و بني سهم بن عمر و تكاثروا و عدوا أشرافهم فأكثرهم بنو عبد مناف. ثم قالوا: نعد موتانا حتى زاروا القبور فعدوهم و قالوا: هذا قبر فلان و هذا قبر فلان فأكثرهم بنو سهم، لأنهم كانوا أكثر عددا في الجاهلية))[٣] ، وقد يكون المراد (ألهاكم) الكثرة في الأموال والأولاد ولم تلتفتوا إلى أمر آخرتكم وتركتم السعي إليها وسيأتيكم علمها في ما بعد (كلا سوف تعلمون)، فأدت لفظة (زرتم) دلالة إيحائية مميزة عبرّت عن خصائص الأسلوب الكنائي تعبيرًا عن الموت بالزيارة، ويعدُّ هذا ملحظًا بيانيًا بالغ القوة والروعة، فـ((استعمال الزيارة بهذا المعنى، صريح الإيحاء بأن الإقامة في القبر ليست إقامة دائمة ، وإنما فيها زائرون ، وسوف تنتهي الزيارة حتمًا إلى بعث وحساب وجزاء وهذا الإيحاء ينفرد به لفظ ((زرتم)) من دون غيره، فلا يمكن

---

(١) في ظلال القرآن:٦٤٧/٨.

(٢) التكاثر:١-٨.

(٣) الميزان في تفسير القرآن: ٣٥٣/٢٠.

أن يؤديه لفظ آخر، كأن يقال: قبرتم، أو سكنتم المقابر، أو انتهيتم إليها، أو أقمتم بها، إلى غير ذلك من ألفاظ تشترك كلها في الدلالة على ضجعة القبر ولكن يعوزها سر التعبير الدال على أنها زيارة أي إقامة عابرة مؤقتة ، يعقبها نشور))[١] ، وقد دخل عنصر آخر في إتمام الدلالة الإيحائية تمثل بمجيء (حتى) التي عملت على قصر المسافة ووضع الناس أمام حقيقة هي إنَّ ما جمعوه من حطام الدنيا سوف يزول ويتحول صاحبه إلى النهاية المحتومة وهي القبر، وإنّ لمجيء لفظة (المقابر) بدل (القبور)[٢] له دلالة خاصة ترسم صورة بيانية متصلة بالمعنى لا لمجرد الإيقاع فحسب فـ((المقابر جمع مقبرة ، وهي مجتمع القبور ... واستعمالها هنا ملائم لهذا التكاثر، دال على مصير ما يتكالب عليه المتكاثرون من متاع دنيوي فان ... هناك مجتمع القبور ومحتشد الرمم ومساكن الموتى على اختلاف أعمارهم وطبقاتهم ودرجاتهم وأزمنتهم. وهذه الدلالة من السعة والعموم والشمول لا يمكن أن يقوم بها لفظ ((القبور)) بما هي جمع قبر. فبقدر ما بين قبر ومقبرة من تفاوت، يتجلى إيثار البيان القرآني ((المقابر)) على ((القبور)) حين يتحدث عن غاية ما يتكاثر به المتكاثرون، وحين يلفت إلى مصير هذه الحشود من ناس يلهيهم تكاثرهم عن الاعتبار بتلكم المقابر التي هي مجتمع الموتى ومزار الراحلين الفانين...))[٣]، فقد تشاركت عناصر عديدة في رسم الكناية الحجاجية التي عبرّت عن كون التكاثر الدنيوي بالمال والأولاد أو في مقابر الموتى يفضي إلى نهاية حتمية وهي زوال حطام الدنيا والرحيل للآخرة بما تزود به المرء من عمل صالح يهون عليه سكرات الموت وما بعدها ، وهذه الصورة القرآنية عملت على استقطاب المتلقي لما فيها من مؤثرات معنوية ترهيبية أو ترغيبيه.

وقد تعددت معاني الكنايات الحجاجية التي وردت في السور القصار، ومنها قوله تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ

---

(١) التفسير البياني للقرآن الكريم:١/٢٠٠.

(٢) ينظر: السور القصار في القرآن الكريم:٤٥-٤٦.

(٣) التفسير البياني للقرآن الكريم:١/٢٠٠١.

﴿هُمۡ يُرَآءُونَ ٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ٧﴾[١] الكناية الحجاجية وردت هنا لتعبر عن الدفع بشدة وخشونة يمثلها قوله تعالى: (فذلك الذي يدع اليتيم) فـ((الدع هو الرد بعنف و جفاء، و الفاء في "فذلك" لتوهم معنى الشرط و التقدير أرأيت الذي يكذب بالجزاء فعرفته بصفاته اللازمة لتكذيبه، فإن لم تعرفه فذلك الذي يرد اليتيم بعنف و يجفوه ولا يخاف عاقبة عمله السيئ ، و لو لم يكذب به لخافها ولو خافها لرحمه))[٢]. وقد قيل: إن هذه الآية نزلت في أبي جهل ، إذ كان وصيًّا ليتيم ، فجاءه عُريانٌ يسأله مِن مال نفسه فدفعه دفعًا شديدًا، وقيل أيضًا: هو الوليد بن المغيرة ، وقيل : العاص بن وائل . وقيل هو : أبو سفيان ، أنه قد نحر جزوراً فسأله يتيمٌ لحماً فقرعه بعصاه ، وقيل : إنَّه على عمومه [٣].

وتحمل لفظة (الدع) دلالة إيحائية أدى أدت دورًا فعالًا في السياق الذي وردت فيه ، فهي تصور مدلوله من خلال جرسه الإيقاعي وإشارته للدفع بقوة.

وتتوالى الكنايات الحجاجية في تعدد معانيها ومن ذلك قوله تعالى:﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾[٤] فالكناية هنا تعبر عن معنى الخير الكثير _خير لا حدّ له_ الذي حملته لفظة (الكوثر) بين طياتها، وقيل: إنَّ هذه السورة نزلت ردًا على سخرية المشركين من النبي محمد (صلى الله عليه وآله) و وصفهم له بالأبتر؛ بسبب موت الذكور من أولاده، وقد عُرف المجتمع أنذاك بحبهم للأولاد وتفضيلهم على البنات، ولعل في كلامهم هذا إيذاء لقلب الرسول(صلى الله عليه وآله) فأكرمه الله بنزول هذه السورة المباركة وإعطاءه الكوثر، وقد ورد ذكره في روايات كثيرة على أنَّه نهر موجود بالجنة، وقد ورد في معنى (الكوثر) أنَّه لما نزلت سورة الكوثر صعد رسول اللّه(صلى الله عليه وآله) المنبر فقرأها على النّاس. فلما نزل قالوا: يا رسول اللّه ما هذا الذي أعطاك

---

(١) الماعون:١-٧.

(٢) الميزان في تفسير القرآن:٢٠/٣٦٨.

(٣) ينظر: البحر المديد:٧/٣٥٩.

(٤) الكوثر:١-٣.

اللّه؟ قال[١]: ((نهر في الجنّة أشدّ بياضاً من اللبن، وأشدّ استقامة من القدح ، حافتاه قباب الدر والياقوت ولها أعناق كأعناق البخت))[٢] ، وقيل : إنَّ هذا الخير النبوة ، وجعل النبي غير منقطع الذرية فمن ذريته انحدر أطهر الخلق وأكثرهم عصمة الأئمة (عليهم السلام) فبعد هذا كله فإنَّ ((مَن ظفر بمعرفة الله فقد حاز الخير كله « ماذا فقد مَن وجدك» فَصَلّ لربك صلاة القلوب ، وانحر نفسك وهواك ، إنَّ شانئك ومُبغضك هو الأبتر وأمَّا أنت فذكرك دائم وحياتك لا تنقطع لأنَّ موت أهل التُقى حياة لا فناء بعدها))[٣]، فالباري قد أنعم على نبيه بالخير والهبات الكثيرة وفي مجالات شتى، ومن ذلك أنَّه قد أصبح هادي الأمة، ونبي الرحمة، صاحب الدين القويم ،والكتاب الحكيم المعجز في كل زمان ومكان حتى أنَّ في هذا إخبار يدل على الإعجاز؛ لأنَّ مصداق هذه النعم تحقق في المستقبل القريب والبعيد وفي هذا لا مجال لأحد أن يشكك في كلام الله وصدق دعوى الرسول(صلى الله عليه وآله) وإكراماً له جعل مبغضيه هم منقطعي النسل والذكر.

ومن المعاني الأخرى للكناية الكناية عن إشعال نار الحرب و العداوة ، قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾[٤]عبرت الكناية هنا عن النميمة التي تحاول خلقها أم جميل في حملها للحطب (وامرأته حمالة الحطب) ، فقد أثارت هي وزوجها حربًا شعواء تحمل في طياتها الأذى والفتنة وقطع صلة الرحم .وجاءت السورة من بدايتها حتى نهايتها متميزة بـ((تناسق في اللفظ ، وتناسق في الصورة .فجهنم هنا نارٌ ذات لهب. يصلاها أبو لهب! وامرأته تحمل الحطب وتلقيه في طريق محمد لإيذائه (بمعناه الحقيقي أو المجازي) .. والحطب مما يوقد به اللهب وهي تحزم الحطب بحبل فعذابها في النار ذات اللهب أن تغل بحبل من مسد ليتم الجزاء من جنس العمل ، وتتم الصورة

---

(١)ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل:٣٠/٤٣٩.

(٢) مجمع البيان :١٠/٣٥٣.

(٣) البحر المديد:٧/٣٦٢.

(٤) المسد:١-٥.

بمحتوياتها الساذجة: الحطب والحبل والنار واللهب يصلى به أبو لهب وامرأته حمالة الحطب! وتناسق من لون آخر في جرس الكلمات مع الصوت الذي يحدثه شد أحمال الحطب وجذب العنق بحبل من مسد اقرأ: { تبت يدا أبي لهب وتب } تجد فيها عنف الحزم والشد! الشبيه بحزم الحطب وشده والشبيه كذلك بغل العنق وجذبه والتشبيه بجو الحنق والتهديد الشائع في السورة))[١] ، اشتملت هذه السورة على عناصر عديدة جعلتها ذات تناسق صوتي رائع على الرغم من أنَّها مكونة من خمس فقرات قصار ابتدأت بالذم والتقريع وتدرجت بالوصف وانتهت بعاقبة بشعة عكست حال رجل وزوجه كانوا معتدين بأنفسهم وأخذتهم العزة بالإثم لدرجة التطاول على نبي الله والتحريض على إشعال الفتنة للتشكيك في دعواه وردع الناس عن التصديق بما جاء به ، فجاء الرد الإلهي مفحمًا لهما في سورة قصيرة ذات وقع خاص جزاء لكيدهم وسخريتهم وإظهار زيف ما يضمرون.

ووردت الكناية أيضًا في تعالى:﴿ **قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥**﴾[٢]

تتمحور الكناية الحجاجية هنا حول لفظة(الفلق) التي تشير إلى ظهور الصبح بعد ظلمة الليل ، ومعنى ذلك: ((أعوذ بفالق الصبح مَنجاةً من شرور الليل ، فإنَّه قادر على أن ينجيني في الليل من الشر كما أنجى أهل الأرض كلهم بأن خلق لهم الصبح ، فوُصفَ الله بالصفة التي فيها تمهيدٌ للإجابة))[٣] ، فقد كان الناس قديمًا يعتقدون أنَّ الليل إله الشر؛ لأنَّه وقت خروج الحيوانات الضارية وقطاع الطرق و أكثر وقت يزداد فيه ألم المرضى.

فالرحمة الإلهية اقتضت انسلاخ النهار من جوف الليل ليكون وقتًا لكسب العيش والنشور في الأرض. ولم تقف الكناية عند هذه الآية بل جاءت في آية أخرى في قوله: ﴿**وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ**﴾ أي إذا دخل الليل بظلامه

---

(١) في ظلال القرآن:٨/١٢٥-١٢٦.

(٢) الفلق:١-٥.

(٣) التحرير والتنوير:٣٠/٦٢٧.

فالغاسق في اللغة هو((الدافق ، والوقب النقرة في الجبل يسيل منها الماء. والمقصود هنا غالباً هو الليل وما فيه. الليل حين يتدفق فيغمر البسيطة والليل حينئذ مخوف بذاته فضلاً عن ما يثيره من توقع للمجهول الخافي من كل شيء))[١]، فهذا المعنى مرتبط مع سابقه في مفهوم الوقت (الليل والنهار) ، فكما للنهار تجلياته و مفاهيمه الخاصة كذلك هو الليل بما فيه ، أما " النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ" فيقصد بالنفاثات هم السحرة الذين كل ما عقدوا عقدًا كانوا ينفثون فيه[٢]، فقد كانوا يتخذون من الليل وقتًا مناسبًا لنشر شرورهم. فهذه السورة اشتملت على كنايات حجاجية تضادية ما بين الصبح (الفلق) والليل(الغاسق) ورسم صورة موحية ومؤثرة ذات وقع موسيقي متأتي من تناسق الألفاظ والمعاني والفواصل القرآنية التي يعجز الكلام العادي أنْ يكون مثلها ، فضلًا عن ما في السورة من ذكر للنعم الإلهية التي تشير إلى تعاقب الليل والنهار ولولا ذلك لأختل النظام الكوني وهذا يشير لقدرة الباري وأهليته لكونه الإله المعبود دون بقية الآلهة الفانية.

وبهذا يتضح لنا الدور الحجاجي الذي رسمته لنا الكناية في السور القرآنية القصار عن طريق مرتكزات عديدة قائمة على التأثير والإقناع وفق ما يقتضيه الموقف الذي وردت فيه، فمثلما للتشبيه والاستعارة دور فعال كذلك هو حال الكناية في كونها ذات طاقة حجاجية تفتح أمام ذهن المتلقي أفاقًا واسعة للتفكر والاقتناع.

---

(١) في ظلال القرآن:١٣٢/٨.

(٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن:٤٣٣/١٠.

النتائج

النتائج :

بعد دراسة الحجاج وفق آياته المتنوعة في السور القرآنية القصار، تنظيرًا وإجراء أمكن التوصل إلى مجموعة من النتائج ندلي بها على النحو الآتي :

- الحجاج من النظريات الحديثة التي تم تناولها من جوانب عديدة تداولية وبلاغية متميزًا بتوظيفه للحجج والأدلة المتنوعة لتحقيق الهدف الأسمى وهو التأثير بالمتلقي واستمالته للاقتناع برأي ما ، أو تغيير معتقده نحو شيء معين.
- تتميز السور القصار بقصر الألفاظ وقوتها ، والإيجاز في عباراتها ، وتعدد الأساليب البلاغية واللغوية والإيقاعية فيها، وهذا ميزها بتنوع الخصائص والآليات الحجاجية لتحقيق غاية المتكلم.
- تنوعت مظاهر الإيقاع في السور القرآنية القصار منها (الفاصلة ، الجناس، الطباق، التوازي ،التكرار ، ...) وقد كان لكل واحد منهما وظيفته الخاصة فضلًا عن اشتراكهم في أداء الوظيفة الحجاجية والجمالية في الوقت ذاته.
- للفاصلة القرآنية أثر في إضفاء طاقة إيحائية موسيقية تعمل على جذب المتلقي وهذا ما يجعلها قادرة على إقناع المتلقي بعظمة النص القرآني وبلاغته وصدق ما جاء به، بدليل إسلام الكثيرين فهي باشتراكها مع العناصر الموسيقية الأخرى في النص القرآني تشكل صورةً تامة الأجزاء.
- تنوع ظاهرة الإيقاع الصوتي المتعلق بالفواصل القرآنية في السور القصار ، فقد جاءت متنوعة في خصائصها الموسيقية والدلالية وفق المواقف التي وردت فيها بين التماثل التام والتقريبي والتقارب ، فضلًا على تنوع حروف الروي بين الشدة واللين والجهر والهمس والتكرار؛ لتؤدي _الفواصل_ بذلك الوظيفة الحجاجية الإقناعية لمتلقي الخطاب الإلهي.

- يعمل الجناس القرآني الحجاجي على استمالة المتلقي بالاعتماد على على البعد الجمالي النفسي الذي يهز أوتار القلب، فهو يعمل أيضًا بخاصية التأثير في السامع عن طريق التجاوب الموسيقي الذي تصدره الكلمات المتماثلة تماثلًا كاملًا أو ناقصًا.
- تميزت المقابلة القرآنية بتحقيق العملية الحجاجية عن طريق بيان وجه الصلة العميقة بين المتقابلين ضديًا، والغاية الحجاجية من إيرادهما لكسب المتلقي عن طريق الخطاب القرآني المتنوع الأهداف، فمنها ما يتعلق بموازنة الباري المحكمة بين مقادير الأمور المتعلقة بحياة الإنسان وتعويضه في الحياة الدنيا، وبيان حاله في الآخرة إن كان ممن له الحظوة عند الله نتيجة عمله الصالح وإقباله على الباري بكل ما يملك، أم كونه من الخاسرين الذين اشتروا بآيات الله ثمنًا قليلًا إرضاءً لأنفسهم وإدبارًا عن بارئهم.
- يعد التوازي من مباحث الإيقاع التي لها آثرها في تحقيق التناسق الموسيقي في السور القرآنية القصار، والوظيفة الحجاجية الإقناعية عن طريق تراكيبه الصوتية والصرفية والنحوية ، وما يميز التوازي القرآني بشكل عام هو تكرار أكثر من تركيب في نص واحد، فقد أحدثت هذه التراكيب ترابطًا نصيًا وشيجًا يعبر عن أهمية الظواهر الكونية وأنظمتها عن طريق المتضادات ، وكذلك ما يخص الحديث عن الأمور العامة المتعلقة بالبشر في الدين والدنيا والآخرة.
- ارتكز الحجاج اللغوي على استبدال الفكرة الشائعة المتعلقة بالوظيفة الأساسية للغة، التي توضح أن الوظيفة الإخبارية هي الوظيفة الأساسية لها على اعتبار أنها علامات تُوَظّف ؛ لتمكين المتلقي من الحصول على صورة تخيلية يدرك عن طريقها المعلومات التي لم يحصل عليها بشكل مباشر، لكن لو نظرنا من زاوية أخرى نرى

أنّ الوظيفة الحجاجية أكثر شمولية؛ لأنها تتضمن في الوقت نفسه وظيفة الإخبار والتواصل.

- إنّ العوامل الحجاجية في السور القصار تحتاج إلى التفسير والتمحيص؛ لمعرفة المقصد الأساسي منها من الناحية اللفظية والمعنوية؛ حتى لا يحدث خلط لدى المتلقي في ماهية هذا العامل ودلالته، وقد كان لعاملية النفي والاستثناء والقصر فعالية حجاجية متميزة عملت على تماسك النص القرآني وتوجيه المتلقي نحو النتيجة التي يهدف القرآن الكريم إلى إيصالها إليه.
- للروابط الحجاجية أثرٌ مهمٌ في تحقيق الوظيفة الإقناعية للحجاج، بالاعتماد على المعطيات والحجج التي توفرها وصولًا للنتيجة المقصودة من الحجاج بآلياته المختلفة في السور القرآنية القصار.
- اعتمدت السلالم الحجاجية في السور القرآنية القصار على عدد من الحجج التي تتدرج من الحجة الضعيفة إلى الحجة الأقوى تنازليًا أو تصاعديًا، فتارة تتدرج حججه في ما يهيئ للإنسان سبل السعادة والرخاء في الدنيا والآخرة على وفق ما يستحق، وتارة أخرى يجسد لنا صورًا مفزعة عن أحداث مغيبة يرتجى من ورائها أخذ العبرة والحيطة عند الإقدام على أي عمل في الحياة، ولكل هذه الصور تأثير جلي على ذات المتلقي للنص القرآني.
- تعدد أساليب الحجاج البياني التي توشحت بها السور القرآنية القصار ، ذات الأثر الواضح في عملية إقناع المخاطَب وتقوية كلام المخاطِب ، حيث تمثل بورودها بؤرة حجاجية متطلبة من لدن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) ؛ لجذب الأنظار والقلوب إلى دين الله وكتابه الكريم.

- عرضت شواهد التشبيه الحجاجي الواردة في السور القرآنية القصار أهم العناصر التي تعمل على إبراز المعاني ذات الدلالات الموحية والمؤثرة في نفس المتلقي بصورة جميلة وفعالة خاصة وأنه جاء في كتاب عجزت العرب عن الإتيان بمثل بلاغته وإعجازه.
- للاستعارة الحجاجية أثرها في العملية الحجاجية بوصفها من المرتكزات التي يعتمد عليها الحجاج البياني ، وتميزت بكثرة الإستعارات الحجاجية المتعلقة بالحياة والموت والبعث والنشور وعمل الإنسان ، وكأن هناك إعجازًا غيبيًا يجعل القارئ يسأل ما السبب وراء ارتباط ذكر أجل الإنسان في الجزء الأخير من القرآن الكريم؟، وكأن هناك تدرجات مرتبطة بحياة الإنسان من أول محطة له بعد الولادة وصولًا إلى أخر محطة في الحياة وهي انتهاء الأجل فجاءت في الجزء الأخير _والله أعلم_ وإن كان ترتيب سور القرآن ليس كما نزلت في زمن الرسول.
- يتضح الدور الحجاجي الذي رسمته الكناية في السور القرآنية القصار عن طريق مرتكزات عديدة قائمة على التأثير والإقناع وفق ما يقتضيه الموقف الذي وردت فيه، فمثلما للتشبيه والاستعارة آثر فعال كذلك هو حال الكناية في كونها ذات طاقة حجاجية تفتح أمام ذهن المتلقي آفاقًا واسعة للتفكر والاقتناع.

وأخيراً يمكن القول إنّ النص القرآني لا يمكن إخضاعه لأي قاعدة صادرة عن كلام البشر، وفي الوقت نفسه الدراسات التي قدمها الباحثون أو التي سيتم تقديمها لاحقًا فيما يخص دراسة القرآن على وفق النظريات الحديثة تبقى قاصرة ويشوبها الخطأ في أحيان كثيرة؛ لأنّ النص القرآني لا يمكن تقييدة بنظرية محددة وتفسيره على وفقها وإن كان المعتمد عليه آراء المفسرين في ما يتعلق بتفسيره وإيضاح مدلوله.

وآخر دعوانا أنّ الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين.

المصادر والمراجع

مسرد المصادر و المراجع

القرآن الكريم.

الكتب المطبوعة.

- الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، إصدار دار الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد– السعودية، د.ط ، د.ت.
- أساس البلاغة ، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري تقديم: د. محمود فهمي حجازي، سلسلة الذخائر (٩٦)، إصدار ٢٠٠٣م، الهيئة العامة لقصور الثقافة– القاهرة.
- أساليب البيان في القرآن، تأليف: جعفر الحسيني، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ط١، ذو القعدة ١٤١٣هـ.
- استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) ، عبد الهادي ين ظافر الشهري، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٤م.
- أسرار البلاغة في علم البيان ، عبد القاهر بن عبد الرحمٰن الجرجاني(ت٤٧١هـ) ، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان،ط١، ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م.
- أسلوبية الحجاج التداولي (تنظير وتطبيق على السور المكية) ، د. مثنى كاظم صادق ، منشورات ضفاف–لبنان ، ط١، ١٤٣٦هـ –٢٠١٥م.
- إعجاز القرآن ، محمد الطيب أبو بكر الباقلاني ، تح: السيد أحمد صقر ، دار المعارف، مصر، د.ط ، د.ت.

- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي ، لبنان – بيروت ، د.ط ، د.ت.
- الإعجاز في نظم القرآن ، محمود السيد شيخون ، مكتبة الكليّات ، القاهرة، ط١، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
- الإعجاز في نظم القرآن ، محمود السيد شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية، الصنادقية ، الأزهر- القاهرة، ط١، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، أبو عبدالله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه ، دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع.
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ناصر مكارم الشيرازي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ط١ مصححة ، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.
- أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية ، تونس ، كلية الآداب منوبة، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، د.ط ، د. ت
- الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد (ت٧٣٩هـ)، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بم محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي(ت١٢٢٤هـ)، تح: أحمد عبدالله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، د.ط،١٤١٩هـ.
- بديع القرآن، ابن أبي الأصبع المصري (ت٦٥٤هـ) ، تح د. أحمد مطلوب و د. خديجة الحديثي، الدار العربية للموسوعات، بيروت ، ط١، ٢٠١٠م.

- البرهان في علوم القرآن ، الإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجبل ، بيروت– لبنان، ١٩٨٨م.
- التبيان في تفسير القرآن ، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تح: أحمد حبيب قصير العاملي، مج١٠، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، د.ط، د.ت .
- تتمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ، طبع الشيخ محمد بن عوض، ط٢، ١٤٠٠هـ–١٩٨٠م.
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، ابن أبي الأصبع المصري (ت٦٥٤هـ) ، تقديم: د. حنفي محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، د.ط ، د.ت.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، ١٩٨٤م.
- التداولية عند العلماء العرب، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت،ط١، ٢٠١٥م.
- التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول وجاك موشلار، ترجمة: د. سيف دغفوس، ود. محمد الشيباني، ود. لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة، بيروت–لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.
- التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صابر الحباشة، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق–سوريا، الأصدار الأول،٢٠٠٨م.
- التصوير الفني في القرآن ، سيّد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، ط١٦، ٢٠٠٢م.
- التعبير البياني ، رؤية بلاغية نقدية، د. شفيع السيد ، مكتبة الشباب، ١٩٧٧م، د.ط.

- التعبير الفني في القرآن، بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٧،٢٠٠٤م.
- التعريفات ، علي بن محمد الشريف الجرجاني(ت٨١٦هـ)، لبنان–بيروت، طبعة جديدة ١٩٨٥م.
- التفسير البنائي ، د. محمود البستاني، مركز تحقيقات كامبيوتري علوم إسلامي ، مؤسسة التابعة للآستانة الرضوية المقدسة–مشهد ، ط١، د.ت.
- التفسير البياني للقرآن الكريم ، الدكتورة عائشة عبد الرحمٰن بنت الشاطئ أستاذة الدراسات القرآنية العليا بجامعة القرويين بالمغرب، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف،ط٧،د.ت.
- تفسير القمي ، أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي من أعلام القرن الثالث الهجري ، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي ،إشراف: المحقق محمد باقر الموحد الأبطحي الأصفهاني، قم ، ط١، جمادي الأولى ١٤٣٥هـ.
- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين المشتهر بخطيب الري(٥٤٤–٦٠٤هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،ط١، ١٤٠١هـ–١٩٨١م.
- تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي، مجموعة التفسير عن الشيعة، تحقيق تصحيح وتعليق : السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، ط٤، ١٤١٢هـ.
- تلخيص البيان في مجازات القرآن، للشريف الرضي(ت٤٠٦هـ)، حقّقه وقدّم له وصنع فهارسه محمد عبد الغني حسن، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه،القاهرة،ط١، ١٣٧٤هـ–١٩٥٥م.
- تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي ، أبو منصور (ت٣٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط١، ٢٠٠١م.

- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرُّماني ، والخطابي، وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق وتعليق: محمد خلف الله أحمد ، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط٣، د.ت.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤هـ-٣١٠هـ) ، تح: الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية الدكتور عبد السند حسن يمامة، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- الجامع لأحكام القرآن الكتاب ، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله ، المكتبة الشاملة ، د.ط ، د.ت .
- الجامع لأحكام القرآن المبيّن لما تضّمنه من السنة وآي الفرقان ، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر القرطبي (ت٦٧١هـ) ، تح: عبدالله بن عبد المحسن التركي بالاشتراك مع كامل محمد الخراط ، وماهر حبوش ، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ،-٢٠٠٦م.
- جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب : د. ماهر مهدي هلال ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٠م.
- الجرس والإيقاع في تعبير القرآن ، د. كاصد ياسر حسين، مركز تحقيقات كامبيوتري علوم إسلامي، د.ط ، د.ت.
- الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي ، تح: فجر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان،ط١ ، ١٩٩٢م.
- الحجاج في التواصل، فيليب بروطن ، ترجمة : محمد مشبال ، عبد الواحد التهامى العلمى، القاهرة-الهيئة العامة المصرية للكتاب، ٢٠١٣م، د.ط.

- الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه ، سامية الدريدي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، عالم الكتب الحديث، إربد–الأردن، ط٢ ، ٢٠١١م.
- الحجاج في القرآن الكريم (رؤية جديدة) : أيمن خميس عبد اللطيف ، الرياض، ٢٠١٥م.
- الحجاج في القرآن الكريم من أهم خصائصه الأسلوبية، عبدالله صولة، دار الفارابي،بيروت–لبنان،ط٣ ، ٢٠٠٧م.
- الحجاج والاستدلال الحجاجي، إسماعيلي علوي حافظ، دار ورد الأردنية، ط١.
- خطاب الحجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي ، عباس حشاني، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، إربد– الأردن ، ط١ ،٢٠١٤م.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمٰن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)، دار الفكر–بيروت ،د.ط، د.ت
- دراسات بلاغية، بسيوني عبد الفتاح، متوسطة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر الجديدة ،ط٢، ٢٠٠٦م.
- دلائل الإعجاز ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (ت٤٧١هـ) أو (٤٧٤هـ) ، قرأه وعلّق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، د.ط، د.ت.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تفسير جزء عم)، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ)، عُني بنشره وتصحيحه والتعليق عليه للمرة الثانية إدارة الطباعة المنيرية ، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، د.ت،د.ط.

- الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت٣٢٨هـ) ، تح: حاتم صالح الضامن ، دار الشؤون الثقافية العامة-بغداد،ط٢ ، ١٩٨٩م.
- شرح المفصّل للزمخشري، مُوفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي(ت٦٤٣هـ)، تقديم: د.إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠١م.
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، د.جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، ، ط٣، ١٩٩٢م.
- الصورة الفنية في المثل القرآني، د. محمد حسين الصغير ، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام -العراق ، ١٩٨١، د.ط.
- العوامل الحجاجية في اللغة العربية ،د. عزّ الدّين الناجح ، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، صفاقس - تونس، ٢٠١١م.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري(ت٨٥٠هـ)، تح: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١،١٤١٦هـ.
- فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، رجاء عيد، منشأة المعارف-الاسكندرية، ط٢، د.ت.
- الفلسفة والبلاغة مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي ، د.عمارة ناصر، الدار العربية للعلوم، ناشرون ، منشورات الاختلاف ، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، شمس الدين أبي عبدالله محمد المعروف بابن قيم الجوزية الحنبلي (ت٧٥١هـ) ، صححه: محمد بدر الدين النعساني، مطبعة السعادة ، مصر ، ط١، ١٣٢٧هـ.
- في النحو العربي نقد وتوجيه ، مهدي المخزومي ، دار الرائد العربي، بيروت-لبنان، ط ٢ ،١٤٠٦-١٩٨٦م.

- في ظلال القرآن، سيد قطب، المكتبة الشاملة(المكتب التعاوني)، موقع التفاسير http://www.altafsir.com.
- كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ، أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن خالوية (ت٣٧٠هـ) ، دار ومكتبة الهلال، بيروت ، د.ط ، ١٩٨٥م.
- كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٠هـ) ، ترتيب وتحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تأليف: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ٤٦٧–٥٣٨هـ، اعتنى به وخرّج أحاديثه وعلّق عليه خليل مأمون شيما، دار المعرفة ، بيروت–لبنان، ط٣، ١٤٣٠هـ–٢٠٠٩م.
- لسان العرب ، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، دار بيروت–لبنان ،ط١، د.ت.
- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، د.طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٨م.
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان ، دار الثقافة ، الدار البيضاء–المغرب، د.ط،١٩٩٤م.
- اللغة بين البلاغة والأسلوبية، د. مصطفى ناصف ، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ١٩٨٩م.
- اللغة ج . فندريس : تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص . الناشر مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٠ م.
- اللغة والحجاج ، أبو بكر العزاوي ، العمدة في الطبع ، الدار البيضاء ، ط١، ١٤٢٦هـ –٢٠٠٦م.

- مباحث في علوم القرآن، منّاع القطَّان ، الناشر مكتبة وهبة ، القاهرة، ط٧، د.ت.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين المعروف بابن الأثير ، تح: محي الدين عبد الحميد ، مصر ،د.ط ، ١٩٣٩م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن ، تأليف: أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م.
- المحرر والوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، طبعة محققة عن نسخة آيا صرفيا–استانبول، رقم(١١٩) المحفوظة صورتها في مكتبة مرعشي نجفي–قم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د.ط، د.ت.
- مشاهد القيامة في القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، ط١٦ ، ٢٠٠٦م.
- المشاهد في القرآن الكريم (دراسة تحليلية وصفية) ، الدكتور حامد صادق قنيبي ، مكتبة المنار، الزرقاء– الأردن، ط١، ١٩٨٤م.
- المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو ، ترجمة: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط١، ٢٠٠٨م.
- معاني الحروف، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (ت٣٨٤هـ)، تح: عرفان بن سليم العشا حسونة الدمشقي، المكتبة العصرية، صيدا–بيروت، د.ط، د.ت.
- معاني النحو: د. فاضل السامرائي ، دار السلاطين ، الأردن–عمان،ط١٤٣١،١هـ–٢٠١٠م.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي، د.ط، ١٣٠٣هـ – ١٩٨٣م.

- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ، جمال الدين بن هاشم الأنصاري (ت٧٦١هـ)، تح: د.مازن المبارك، محمد علي حمد الله، راجعه سعيد الأفغاني، دار الفكر–دمشق، ط١، ١٩٦٤م.
- المفردات في غريب القرآن أبو القاسم الحسين بن علي المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم دمشق ، بيروت، ط١ ، ١٤١٢هـ.
- من تجليات الخطاب البلاغي، حمادي صمود، دار قرطاج للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.
- منة المنان في الدفاع عن القرآن، للسيد الشهيد محمد الصدر ، تح مؤسسة المنتظر لأحياء تراث آل الصدر ، المحبّين للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١١م.
- المنهاج الواضح للبلاغة ، حامد عوني ، المكتبة الأزهرية للتراث، د.ط ، د.ت.
- الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية –قم المقدسة، د.ط ، د.ت.
- النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة : عبد القادر قنيني ، أفريقيا الشرق–المغرب، أفريقيا الشرق بيروت–لبنان، د.ط، د.ت.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي(ت٨٨٥هـ)،تح:محمد عبد المعين خان، طبعة مجلس المعارف الإسلامية، حيدر آباد الدكن–الهند، د.ط، ١٩٦٩م.
- النكت في إعجاز القرآن، لأبي الحسن علي بن عيسى الرمّاني (٢٩٦هـ–٣٨٦هـ) ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرّماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، حققها وعلق عليها محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف–مصر، ط٣، د.ت.

- نهج البلاغة ، الإمام علي ابن أبي طالب (علي السلام) ، جمعه ونسق أبوابه: الشريف الرضي، شرحه وضبط نصوصه: محمد عبده، المركز اللبناني للفهرسة العلمية والدراسات الإسلامية، مؤسسة المعارف- بيروت،ط١،١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمود البجاويّ، مكتبة لسان العرب، مطبعة عيسى الحلبي وشركاؤه، د.ط، د.ت.
- الوظيفة الحجاجية في القصص القرآني ، بان أمين عمر الربيعي ، جامعة الكوفة – كلية الآداب ، العراق ،١٤٣٩هـ -٢٠١٨م.

- **الرسائل و الأطاريح**
- أساليب البديع في نهج البلاغة (دراسة في الوظائف الدلالية والجمالية) (أطروحة)، خالد كاظم حميدي الحميداوي ، جامعة الكوفة – كلية الآداب ، ١٤٢٢هـ-٢٠١١م.
- أساليب البيان العربي في السور المئين(أطروحة دكتوراه)، تقدم بها هادي حسن محمد منصور، بإشراف الدكتور محمد حسين علي الصغير، جامعة الكوفة-كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- أساليب التعبير الإيقاعي في القرآن المكي دراسة تحليلية أدبية (رسالة ماجستير)، بن شيخ عباس، جامعة وهران- الجزائر، ٢٠٠٨م.
- تجليات الحجاج في الخطاب النبوي دراسة في وسائل الإقناع الأربعون النووية-أنموذجًا ،(رسالة ماجستير)، هشام فروم، جامعة الحاج لخضر- باتنة، ٢٠٠٨-٢٠٠٩م.

- التحليل الصوتي للنص (بعض قصار سور القرآن الكريم أنموذجًا) أطروحة، مهدي عناد أحمد قبها ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس- فلسطين ، ٢٠١١م.
- الحجاج في الخطابة والرسائل في مصر زمن الحروب الصليبية (رسالة ماجستير) ، أيمن خميس عبد اللطيف إبراهيم أبو مصطفى، جامعة دمنهور- كلية الآداب، ١٩٣٢هـ/٢٠١١م.
- الحجاج في آيات الأحكام، ثائر عمران شدهان الجنابي (رسالة ماجستير)، جامعة المثنى، كلية التربية للعلوم الإسلامية-العراق،١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.
- الخطاب الحجاجي في ديوان لافتات٢ لأحمد مطر مقاربة تداولية،(رسالة ماجستير) ، فوزية زيار، جامعة وهران – الجزائر،٢٠١١-٢٠١٢ م.
- الروابط الحجاجية في شعر أبي الطّيب المتنبي مقاربة تداولية،(رسالة ماجستير)، ، خديجة بو خشة جامعة وهران – الجزائر ، ٢٠٠٩-٢٠١٠م.
- السلالم الحجاجية في القصص القرآني مقاربة تداولية(أطروحة) ، بو سلاح فايزة ، جامعة وهران ١ أحمد بن بلة ، ٢٠١٤- ٢٠١٥م.
- السور القصار في القرآن الكريم دراسة بلاغية(رسالة ماجستير) ، مهند عبد الرزاق عبد القادر العصفور، ، كلية التربية-جامعة البصرة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
- الطباق في القرآن الكريم دراسة بلاغية (رسالة ماجستير)، ، نِعَم هاشم خالد سليمان الجماس، كلية التربية – جامعة الموصل ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- قصار السور دراسة أسلوبية (رسالة ماجستير)، ، كريم طاهر عباس البعّاج ، كلية التربية-جامعة بابل، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

- **المجلات والدوريات**

- التصوير الصوتي في سورة الزلزلة (بحث منشور) ، هادي سعدون هنون ، جامعة الكوفة، مركز دراسات الكوفة، العدد الثامن عشر،٢٠١٠م.
- الجناس البلاغي في تفسير فتح القدير للإمام الشوكاني د. نصيب دار محمد، محمود احمد المفتي ، مجلة القسم العربي جامعة بنجاب، لاهور- باكستان، ع٢٣، ٢٠١٦ م.
- الحجاج في الدرس اللغوي الغربي، أ.بوزناشة نور الدين، جامعة سطيف- الجزائر، مجلة علوم إنسانية، ع٢٠١٠،٤٤م.
- دلالات النظم الصوتي في سورة الفلق ، د. زهراء خالد سعد الله العبيدي ، مجلة كلية التربية الأساسية – جامعة بابل، ع١، كانون الثاني /٢٠١٣ م.
- العوامل الحجاجية في آيات الأحكام ، عايد جدوع حنون ، جامعة المثنى – كلية التربية للعلوم الإنسانية ، مجلة أوروك ، المجلد التاسع ، ع٤، ٢٠١٦م.
- العوامل الحجاجية في شعر البردوني النفي أنموذجًا ، د. ألطاف إسماعيل أحمد الشامي، مجلة كلية العلوم الإسلامية ، جامعة بغداد ، ج١، ع٤٣ ، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

الفاصلة في السياق القرآني سورة مريم أنموذجا(بحث منشور) ، محمد حسين النقيب، اليمن.

- نظرية الحجاج اللغوي عند أوزفالد ديكرو وأنسكومبر ، أ.جايلي عمر ، جامعة بالأغواط ، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب ، ع٣،، ٢٠١٨م.

Abstract

This study attempts to explain the function of the Quranic deliberative in the short verses, and presents us with the methods adopted to influence the recipient, as well as the aesthetic and persuasive dimensions that the Qur'anic text suggests to its reader and its listeners. It is a source of inexhaustible methods and ideas, to explain the short verses in particular; to distinguish them with the various characteristics of arguments to achieve the goal of the speaker.

As a result, the research included a prelude and three chapter:

The preface was devoted to the study of the concept of arguments , characteristics, the presentation of multiple names in the short Quranic verses, opinions of scientists and researchers in its number.

The first chapter deals with the effectiveness of the rhythm in achieving the function of the arguments of the Quranic text.

The second chapter, in which the researcher showed the work of the linguistic argument in the Qur'anic text, through its mechanisms available in the short verses .

The chapter of this study deals with the speech of rhetoric arguments by relying on the methods of data received.

These chapters were followed by a conclusion in which the most important findings of the researcher were obtained

through this study, as well as a list of sources and references adopted by the research, and finally a summary in English.

The study emerged a set of results, the most importan of which:

- The Qur'anic discourse argument is composed of many elements that the interpreter must be familiar with and aware of in his work, because it helps to strengthen his interpretation. The most important of these elements is the knowledge of the causes of descent, the suitability of the Quranic verses among them and understanding the meanings and rulings issued by the Qur'anic text, and taking into account the aspects of linguistic and rhetoric translations in the Quran. order to enable researchers to study the Holy Quran according to interpretations rather than studying it and interpreting it according to the desires.

- The mechanisms of the theory of the arguments (rhythmic, linguistic, and rhetorical) in the Qur'anic text are effective and attract the recipient to a certain opinion, or change his belief.

The researcher reported from a wide range of studies related to one or another of the studied subjects. The most important of these were the letters and thesis related to the study of the arguments, many studies of the short Qur'anic verses, and some of the academic texts related to the subject study and some periodicals.

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Karbala
Faculty of Islamic Sciences
Department of the language of the Quran and literature

The Argument in the Holy Quran short verse as an example

thesis submitted from the student

Marwa Khudair Abbas Al-Ghazali

To the Council of the Faculty of Islamic Sciences University of Karbala
As a part of the requirements for a master's degree
In the language and literature of the Qur'an

Supervised by

Prof. Dr. **Muslim Malik Baeer Al-Asady**

2019 **1441**